تشارلز بوكوفسكي



23.1.2016

أدب رخيص



ترجمة

إيمان حرزالله





منشورات الجمل

رواية

تشارلز بوكوفسكي

أدب رخيص

ترجمة

إيمان حرزالله

منشورات الجمل

تشارلز بوكوفسكي: أدب رخيص

تشارلز بوكوفسكي: أدب رخيص، ترجمة: إيمان حرزالله
الطبعة الأولى ٢٠١٦
Charles Bukowski: Pulp, roman, 1994

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

تقديم

شعريّة الرداءة

تشارلز بوكوفسكي في آخر رواياته أدب رخيص

رحلَ تشارلز بوكوفسكي عن العالَم في ٩ آذار عام ١٩٩٤ بعد رحلة مع مرض اللوكيميا، وهو نفس العام الّذي أنهى فيه بعد جُهد كتابة آخر أعماله الروائيّة **أدب رخيص**، الرّواية التي راهنَ فيها بوكوفسكي على موهبته في صياغة السّرد والحوارات المثيرة ونَبش ما هو ثابت ومتعارف عليه، أكثر من إثباته قدرته على امتلاك مفاتيح الكتابة في أدب التحرّي الذي سقطت عصمته كنمط سائد وحلّت مكانه الباروديا، الحلّ الأمثل لسقوط الأجناس الأدبيّة الرائجة.

تَرثُ هذه الرواية الجينات الأدبيّة البوكوفسكيّة مستعيرةً شكلاً جديداً في الكتابة هدفه كَسر نوعيّة الجنس الروائيّ النموذجيّ من خلال المحاكاة السّاخرة، وبناء نصّ مفتوح بنكهة جديدة ينزاحُ عن الكتابة المشروطة لأدب التحرّي. في هذا المَزج، أو التّشويش أو الازدواج المتعمّد الذي يُحدثُه بوكوفسكي في آخر أعماله، يهجّر النصّ عن نموذجه التقليديّ ويعيدُ صياغته وفق أصول مطبخه الأدبيّ ليبني لنا خيالاً يشدّ، عبر الباروديا، بنية العمل الأدبيّ ويخلق له لغتين وأسلوبين ووجهتي نظر تضعنا أمام سؤال الكتابة وأشكال تلقّيه.

اتّفق النقاد حول ضعف النَفَس البوكوفسكيّ في هذه الرواية وعمرانيّتها، لكنّ وجبت قراءة هذه الرواية وفق قواعدها الخاصّة، لا قواعد النموذج الروائيّ التقليديّ الذي بنت على عناصره وأفسدته عن قصد، وبذلك بنت لنفسها منطقاً خاصاً يقومُ على استثارة القارئ وصدمه وفق تراكماته السابقة. هي ليست رواية بوكوفسكيّة نموذجيّة، ولا تنزع نحو النمط السيرذاتي وجرعات الذاتيّة التي تظهر من خلال شخصيّة هانك، وسائر الشخصيّات في روايات وقصص بوكوفسكي. يكتب بوكوفسكي أدب الجريمة أو التحرّي، لكن ليس بالمفهوم التقليدي لهذا النوع الأدبيّ، فقد أشاع الكاتب فيها روح الفكاهة مُحدِثاً أخاديد في قلب هذا النوع الأدبيّ، ومسخّفاً رؤى الشخصيّات السورياليّة والمهمّات الغرائبيّة الموكلة إلى محقّق عاثر الحظّ يستهتر بزبائنه. بهذا حافظَ على المزاج البوكوفسكيّ مبتعداً عن السقوط في الاجترار الأسلوبيّ، يلتذّ القارئ من خلاله للأحداث الروائيّة المعطوبة في جزئها بوعيٍ منه الآن أن المقارنة بين النموذجين لا تستقيم لاختلاف النوايا.

هانك، العربيد الليليّ، السّكير الحالِم، المراهن رجل الحانات والجرائم الصغيرة، المولَع بالنّساء، العاطل عن العمل، المتحدّث باسم الصّغار، الواقعيّ القذر، والقبيح المنحرف عن آداب السّلوك العامّ، غابَ هذه المرّة عن رواية بوكوفسكي. لكنّه يعود ويخرج إلينا في ميتامورفوزا أخرى على هيئة محقّقٍ خمسينيّ غارق في قضايا زبائن ليسوا حقيقةً بزبائن، وقضايا ليست بقضايا، مشتركاً في لعبة تمويهيّة ساخرة حدّ السّخف، تؤكّد من جديد فلسفة بوكوفسكي حول القاعدة الطباقية للعالَم حيث تتناغم التناقضات ويحملُ الجد فيه الهزل بنفس القدر. الرواية عبارة عن لوحة فنيّة صافية، يقف فيها الدّونيّ بجانب

الجميل، وتكشف هي الأخرى كما أعمال بوكوفسكي الشعريّة والنثريّة السابقة ـ وإن بدَت مختلفة في أحداثها وقالبها ونوعها الأدبيّ ـ فلسفة خاصّة حيال الواقع الذي لا يمكنك أن تأخذه دائماً محمل الجدّ وإلاّ هزمك. هنا، يستجمع بوكوفسكي موهبته ليرسم لوحةً غروتسكيّة وحشيّة سخيفة متكسّرة هشّة متماسكة ولامعقولة في نفس الوقت، وهو بذلك يختار لنا أدب التحرّي والجريمة في إطاره العامّ فقط، ليهدّ معماريّته الفنيّة ويعيد رصف لبناته وفق المنطق البوكفسكيّ الذي عهدناه.

نيكي بيلين (والذي يحاكي اسم روائيّ التحرّيات والجريمة الأمريكيّ ميكي سبيلين) هو محقّق خاصّ يترنّح على سلّم النجاح والفشل، يتّخذ أداؤه في العمل شكلاً سخيفاً وشبه سورياليّ بدخول شخصيّات غريبة في الرواية ومهمّات أشدّ غرابة: السيّدة مَوت، امرأة جميلة تطلب من نِك العثور على لويس فرديناند سيلين الكاتب المتوفّى عام ١٩٦١، كائنات فضائيّة يُطلب منه إزاحتها من طريق زبائنه، ضبط امرأة تخون زوجها في ملاحقة كوميديّة عبثيّة، والعثور على العصفور الأحمر (والذي يحاكي اسم دار النشر التي نشر فيها بوكوفسكي أعماله، بلاك سبارو ـ العصفور الأسود ومؤسسها جون مارتن)[١]، والذي يصبح سبباً في قتل المحقق في مشهد ختاميّ سورياليّ.

افتتح بوكوفسكي الرواية بالسيّدة مَوت، المَوت الذي اختاره ليكون

---

(١) جون مارتن ناشر بوكوفسكي، مؤسس «بلاك سبارو برِس» (دار العصفور الأسود)، وهو من عرضَ على بوكوفسكي راتباً قدره ١٠٠ دولار شهرياً ليتفرّغ للكتابة. الشخصيّة تظهر في خلفية الرواية باسم جون بارتون، وهو الشّخص الذي يوصي للزبائن بنيكي بيلين كمحقق متميّز، ويطلبُ من نِك العثور على العصفور الأحمر، قائلاً: «إذا وجدت العصفور الأحمر سأمنحك مائة دولار شهرياً مدى الحياة».

سيّدة في منتهى الجَمال والقسوة، وختم الرواية بتواطؤها مع الآخرين واعترافها بأنّ كلّ ما حدث مع نِك كان مجرّد لعبة خطّط لها بارتون، وفي لقطة درامية عبثيّة ساخرة، يتحقّق فيها قانون مورفي، يُطلق على بيلين أربع رصاصات في بطنه، ليصبح العصفور الأحمر عملاقاً حقيقياً يواجه نكي:

«العصفور الأحمر».

عملاق، براق، جميل. ليس في ضخامته شيء، حقيقي جداً، ليس في روعته شيء.

وقف أمامي. ثم ظهرت السيدة موت تقف بجوار العصفور. لم تبدُ أجمل من هذا قط. قالت: «بيلين، لقد استُدرجت إلى لعبة سيئة حقاً».

«لا أستطيع التحدث كثيراً يا سيدتي.. أخبريني بالأمر كله».

«جون بارتون صديقك رجل له نظرة ثاقبة للغاية. أحسّ أن العصفور الأحمر موجود وحقيقي بطريقة ما وفي مكان ما. وأنك ستعثر عليه. الآن قد عثرت عليه. لم يكن معظم الآخرين - ديجا فاونتن، وسندرسون، وجوني تيمبل - سوى فنانين محتالين، حاولوا خداعك وابتزازك. ظناً منهم أنك ثري، لأنك أنت وحانة موسو كل ما تبقى من هوليوود القديمة، هوليوود الحقيقية».

لا ننجح في الدّخول تماماً إلى عُمق شخصيّة نكي بيلين الذي لا يبتعدُ كثيراً عن هانك، ولا بقيّة الشخصيّات المستقاة بأسمائها من واقع بوكوفسكي مع تحويرات تجعل منها شخوصاً كاريكاتوريّة مخيفة وفكاهيّة، تشيعُ الفوضى في الرواية وتظلّ غامضة حتّى النهاية. نيكي شخصيّة بوهيميّة رافضة لكلّ ما حولها، يتناول الحقيقة على نحو ساخر ولا تخضع سلوكيّاته أو حتى المهمّات الموكلة إليه لعقلانيّة ما طالما

تواجد هو في واقع العقلانيّة آخر ما تصبغه. الحلّ، إذن، لمواجهة هذا الواقع وثوابته، تضافر كافّة أشكال المعقول المحشوّة باللامعقول، والجدّ الذي يحتضنُ الهزل في أبهى حالاته ليوجّه مقولةً حادّة تجاه مفاهيم عصره ومظاهره على نحو العنف والجنس والعاطفة والاغتراب. وهكذا مثلاً، نراه في مشهد ساخر يتّصل بماخور افتراضيّ ويدفع ببطاقته أجر مكالمة ساخنة مع كيتي. يحوّل بوكوفسكي المشهد السّاخن الجادّ إلى مشهد بارد هزليّ وسخيف مفرغ من محتواه الجنسيّ، يُبرزُ جانب الزّيف والكذب ويستثمر اللحظة ليكشف عن سطحيّة المشهد الجنسيّ العصريّ ومظاهره وسخافة سوق العرض والطّلب:

«أعطيته المعلومات. انتظرت طويلاً إلى أن تم التحقّق من رصيدي». ثم سمعت صوتاً: «هيه يا صغيري هذه كيتي!».

«أهلا يا كيتي. اسمي نِكي».

«أوووه. صوتك مثير جداً! لقد أثارني قليلاً!».

«لا. صوتي ليس مثيراً».

«أوه. أنت متواضع فقط!».

«لا يا كيتي لست متواضعاً..».

«أتعرف. أشعر أنني قريبة جداً منك! كأنك تضمني وأنا على ركبتيك وأنظر في عينيك. إن عينيّ زرقاوين. أراك تميل عليّ كأنك ستقبّلني!».

«هذا هراء كيتي، أنا أجلس هنا وحيداً أشرب سكوتش وأصغي إلى صوت المطر».

«اسمع نِك، يجب أن تستخدم خيالك ولو قليلاً. دع نفسك وستتفاجأ بما يمكن أن نفعله معاً. ألا تحب صوتي؟ ألا تجده.. آه.. مثيراً قليلاً؟».

«نعم، قليلاً، ولكن ليس جداً. تبدين كأنك مصابة بنزلة برد. أأنت مصابة بالبرد؟».

«نِك، نِك، يا فتاي العزيز، أنا ساخنة جداً ويصعب أن أصاب بالبرد!».

«ماذا؟».

«قلت لك أنا ساخنة جداً ويصعب أن أصاب بالبرد!».

«حسناً، تبدين كأنك مصابة بالبرد، أتدخّنين كثيراً؟».

«أنا أدخن شيئاً واحداً فقط يا نِك!».

«ما هو يا كيتي؟».

«حَزِّر».

«لا»..

«انظر لأسفلك يا نِك».

«أوكي».

«ماذا ترى؟».

«كأس. هاتف..».

«ماذا أيضاً يا نِكي؟».

«حذائي..».

«نِك، ما هذا الشيء الكبير الذي يبرز منك وأنت تتحدث معي؟».

«أوه، هذا، إنه كرشي!».

«تحدث معي يا نِك. اسمع صوتي. تخيلني على ركبتيك، وثوبي مرفوع قليلاً يظهر ركبتيّ وفخذيّ. وشعري الأشقر الطويل ينسدل على كتفي. فكر في كل هذا يا نِك، فكر في..».

«وهو كذلك..».

«أوكي، الآن ماذا ترى؟».

«نفس الأشياء: الهاتف، وحذائي، وكأسي، وكرشي..».

«أنت سيئ يا نِك! لديّ رغبة حقيقية في المجيء إليك وصفعك على ردفك، أو ربما سأدعك تصفعني أنت على ردفي!».

«ماذا؟».

«اصفعني، اصفعني نِكي».

«كيتي..».

«نعم؟».

«أتسمحين لي بدقيقة؟ يجب أن أذهب إلى الحمّام».

«أوه نِك أعرف ما ستفعله هناك! لكن ليس عليك أن تذهب إلى الحمام، يمكنك أن تفعلها على الهاتف وأنت تتحدث معي!».

«لا أستطيع كيتي، سأتبوّل».

«نِك. اعتبر محادثتنا انتهت!» وأغلقت الخط.

يهدي تشارلز بوكوفسكي آخر رواياته **أدب رخيص** للكتابة السيّئة. لا يمكن أن نحدّد بالضبط ما الذي يقصده بـ «الكتابة السيئة». أهِي مديح في شعريّة الرّداءة، الرّداءة والإخفاق في خوض نوعٍ أدبيّ شائع؟ أم أنّها رداءة متعمّدة، تسعى إلى تقويض الشّعبيّ والقائم والمستهلك؟ هيَ في الأساس قدرة على اختلاق شعريّة للرّداءة أو شعريّة للمتنافرات تموضعُ النصّ في حيّز ثالث، حيّز يقوم على إحداث ارتجاجات لكتابة مشروطة ومحكومة بتقاليد وأعراف ثابتة. هذه الارتجاجات تبرهنُ تجاوزه لهذا النّوع الأدبيّ أثناء ممارسته له بإضافة قيمة واقعيّة أخرى له.

من يفتح خارطة هذه الرواية، ينتبه إلى أنّ السخرية والباردويا موقف من الواقع وفلسفة وجود. هي نفس الباروديا التي يعالجُ فيها سرفانتيس

الواقع في دون كيخوتة، ونفس الباروديا التي يتطرّق فيها لاري مورس وكولن واتسون، وروبرت باركر وإرنستو ساباتو وغيرهم ممن أضافت الباروديا لأعمالهم الأدبيّة منحى جديداً بعد أن أثبت النموذج التقليديّ فشله، الباروديا التي تشتغلُ على هدّ مظاهر التلقّي والتأليف وخلخلة توازن المألوف.

رغم حبّه الخاصّ لهذه الرواية، إلا أنّ بوكوفسكي، على غير عادته في أعماله السابقة، أعاد كتابة هذه الرواية، وصحّح فيها أكثر من مرّة، ممّا يؤكّد قلقه حيالَها. من يقرأ هذه الرواية يلاحظ أنّ ثمّة مسرحة مجنونة وتحويرات سينمائيّة تقوم على التّسخيف، والغروتيسك، والكوميديا في عُمقها تراجيديا عبثيّة خالصة تنتهي بأربع طلقات في بطن المحقّق بيلين. المصادفات المتواصلة، المحقّق المتأرجح بين الذكاء والغباء، الجرائم الرماديّة الطابع التي لا مبرّر لها، كلّها قد تجعل من الكتابة في هذا الأدب كتابة رديئة تُفسدُ هذا النوع الأدبيّ وأصوله. لكن علينا أن نعترف أن ثمّة عمقاً ودلالات أخرى للخروقات التي يرتكبها بوكوفسكي في هذا النوع الأدبيّ تُعيدُنا إلى الهدف الأساسيّ من وراء هذا الإفساد، فلا تنطلي على قارئ بوكوفسكي خُدعة الشّكل الأدبيّ. لم يكتب بوكوفسكي أدباً رديئاً وإنّما كتب أدباً واقعياً مُخَلخَلاً، وقد احتفظَ لنفسه بحقّ اختيار الضوابط والشكل الفنيّ والمناخ الذي يُحقّق في النهاية للمتلقّي لذّةً من دون قيدٍ أو شرط من جهة، ويتناسبُ مع ميتافيزيقيّة الكاتب من جهة أخرى.

كتابة بوكوفسكي الأدبيّة توتّر الأعصاب، تبدأ على نحوٍ غير غريب وتنتهي على نحوٍ غريب، وترميك في حقلٍ من الألغام والتساؤلات حول الواقع والبشر والمألوف ومرايا الوجود. كعادّته، ينجح بوكوفسكي

عبر تبنّي النّشاز قيمةً عليا، في خلق الأثر الجماليّ عند المتلقّي، فالرّجل لم يتقصّد في نهاية حياته الأدبيّة، خوض كتابة نوع أدبيّ لم يطرقه من قبل، إلاّ بهدف استثماره، بشكل مباشر أو غير مباشر، لتحقيق نفس الأثر الجماليّ السّابق، مجدّداً دمه القصصيّ في محاولةٍ أخيرة للضحك من المَوت.

أدب رخيص، رواية شديدة التحيّل تُبطِن عكس ما تُظهر، حتّى بعنوانها وإهدائها اللذين لا يمثّلان مقاصدها، وتكمنُ قيمتها كرواية تحرٌّ في قدرتها على توجيه لكمة في وجه هذا الجنس الروائيّ الذي أكله الصّدأ.

ريم غنايم

هذا العمل

إهداء للكتابة السيّئة

١

جلستُ في مكتبي. عقد إيجاره انتهى وماكيلفي بدأ بإجراءات إخلائه. كان يوماً حاراً جهنّمياً وقد تعطّل التكييف. زحفت ذبابة فوق سطح المكتب. استعملت يدي، وبكفّي أرسلتها خارج اللعبة. رنّ جرس الهاتف وأنا أمسح راحتي بجهة بنطالي اليمنى.

رفعت السماعة قائلاً: «آلو. نعم».

سألني صوت أنثوي: «هل تقرأ سيلين؟»[١].

بدا صوتها مثيراً جداً. كنتُ وحيداً فترة من الوقت. عقوداً.

أجبتها: «سيلين؟ مممم».

«أنا أريد سيلين. يجب أن أصل إليه».

ذلك الصوت المثير. يدغدغني حقاً. سألتها:

«سيلين؟ مدّيني بالمزيد من التفاصيل. حدثيني يا سيدتي. واصلي حديثك».

«أغلِق السوستة».

---

(١) Louis-Ferdinand Celine (١٨٩٤- ١٩٦١) كاتب فرنسي يعدّ أعظم روائي فرنسي بعد بروست، من أشهر أعماله **رحلة في آخر الليل** (١٩٣٢)، ترجمها إلى العربية أحمد علي بدوي.

نظرت نحو الأسفل وسألتها: «كيف عرفتِ؟».

«المهم. أنا أريد سيلين».

«سيلين مات».

«لم يمت. أريدك أن تعثر عليه. أريده».

«قد أعثر على عظامه».

«لا أيها الأحمق، إنه حيّ».

«أين؟».

«في هوليوود. سمعت أنّه شوهد في محيط مكتبة ريد كولودوفسكي».

«لماذا إذن لا تعثرين عليه بنفسك؟».

«لأنّه عليّ أولاً أن أتأكد من أنه سيلين الحقيقي. يجب أن أكون واثقة. واثقة تماماً».

«لكن لماذا تلجئين إليّ؟ هناك مائة محقق خاصّ في المدينة».

«جون بارتون أوصى بك».

«أوه. بارتون. نعم. حسناً. اسمعي، يجب أن تدفعي مبلغاً مقدماً ويجب أن ألتقي بكِ شخصياً».

«سأكون عندك خلال دقائق».

أغلقَتْ الخط. وأغلقتُ أنا السوستة.

وانتظرت.

٢

دخَلَتْ.

الآن.. أعني.. هذا ليس عدلاً.. كانت ترتدي ثوباً ضيقاً للغاية إلى حد يكاد يتفتق عند تكويرات جسدها. تشرب الكثير من خمير الشوكولاته.. وتمشي بكعب عالٍ جداً إلى حد بدت كمن يسير على طوّالتين صغيرتين. سارت في الغرفة تترنح كعرجاء مخمورة. كتلة لحم متألّقة تصيب المرء بالدوار.

قلت: «تفضلي بالجلوس يا سيّدتي».

وضَعَتْها على كرسي ورفعت ساقيها لأعلى، كادت عيناي تخرجان من محجريهما..

«سعيد برؤيتك يا سيّدتي».

«أرجوك. كف عن التحديق ببلاهة. لا شيء لم يسبق لك رؤيته من قبل».

«أخطأتِ في هذا يا سيّدتي. الآن، هل لي أن أعرف اسمك؟».

«السّيدة مَوت».

«السّيدة مَوت؟! أتعملين في السيرك أو في السينما؟».

«لا».

«مكان ولادتك؟».

«لا يهم».

«تاريخ ميلادك؟».

«لا تحاول الاستظراف..».

«أنا فقط أحاول الحصول على بعض المعلومات».

بشكلٍ ما فقدت تركيزي ورُحت أحدِّق في فخذيها. دائماً كنتُ من محبّي الأفخاذ. إنها أول شيء رأيته حين وُلدت، لكنني حينها كنت أحاول الخروج، ومنذ ذلك الحين وأنا أحاول العودة في الاتجاه المعاكس وإنما بحظٍّ عاثرٍ للغاية.

طرقعت بأصابعها قائلة:

«هيه. عُد من هناك!».

عدت بنظري لأعلى قائلاً:

«هاه، ماذا؟».

«قضية سيلين. هل تذكُرها؟».

«نعم بالطبع».

كان في يدي دبوس معدنيّ صوّبت طرفه نحوها قائلاً: «سأحتاج إلى دفعة مقابل خدماتي».

ابتسمت مجيبة: «بالطبع، كم أجرك؟».

«٦ دولارات في الساعة».

أخرجت دفتر الشيكات، كتبت فيه شيئاً على عجلٍ، نزعت منه الشيك وألقت به أمامي على طاولة المكتب، تناولتُه. ٢٤٠دولاراً. لم أر

هذا القدر من المال منذ أن فزت في الإكساكتا[١] في هوليوود بارك[٢] عام ١٩٨٨.

«شكراً سيدة...».

«مَوت».

«نعم.. الآن حدّثيني قليلاً عن هذا المدعو سيلين. أقلتِ شيئاً ما عن مكتبة؟».

«حسناً، إنه يتجوّل في مكتبة ريد، يتصفّح الكتب.. يسأل عن فوكنر، وكارسون ماكيولر وتشارلز مانسون[٣]..».

«يتجوّل في المكتبة، هه؟ ممم..».

قالت: «نعم. أنت تعرفُ ريد».

«يحب طرد الناس من مكتبته. قد ينفق المرء ألف دولار هناك ثم يتلكأ دقيقة أو اثنتين فيصيح به ريد «لماذا لا تخرج من هنا بحق الجحيم؟» ريد رجل طيب لكنه غريب. بأيّ حال، ظلّ ريد يطرد سيلين وسيلين يتوجه إلى حانة موسو ـ يجلس إلى البار بمظهر حزين. ثم يعود بعد يوم أو اثنين ليعيد الكرّة نفسها ثانيةً».

«سيلين ميت. سيلين وهيمنجواي ماتا ولم يفصل بين موتَيهما سوى يوم واحد قبل اثنين وثلاثين عاماً».

---

(١) طريقة للرهان في سباق الخيول.

(٢) إسطبل لتربية خيول السباق والرهان عليها ولعب البوكر، بكاليفورنيا.

(٣) (أ) William Faulkner (١٨٩٧- ١٩٦٢) كاتب أمريكي حائز على جائزة نوبل. من أعماله: **الصخَب والعنف، وردة لإميلي، واهبط يا موسى.** (ب) Carson McCullers (١٩١٧-١٩٦٧) كاتبة أمريكية من أعمالها: **القلب صياد وحيد.** (ج) Charles Manson سفاح أمريكي وزعيم «أسرة مانسون»: كومونة ظهرت في كاليفورنيا في أواخر الستينيات.

«أنا أعلم بشأن هيمنجواي. لقد أخذت هيمنجواي».

«هل أنت متأكدة من أنه كان هيمنجواي؟».

«أوه نعم».

«لماذا إذن لست متأكدة من أن سيلين هذا هو سيلين الحقيقي؟».

«لا أعرف. الأمر يستعصى عليّ بشكلٍ ما. لم يحدث لي هذا من قبل. لعلّي أتواجد في اللعبة وقتاً طويلاً. لهذا جئت إليك. يقول بارتون إنك جيد».

«وأنت تظنين أن سيلين الحقيقيّ حيّ؟ وتريدينه؟».

«أريده بشدة.. أيها المغفل».

«بيلين. نِك بيلين».

«وهو كذلك يا بيلين. أريد أن أتأكد. لا بدّ أنه سيلين الحقيقيّ، وليس مجرد مدّعٍ بنصف مؤخرة. ثمة الكثير من هؤلاء».

«من دون أدنى شكّ!».

«حسناً. ابدأ عملك. أريد كاتب فرنسا العظيم. لقد انتظرت طويلاً».

ثم نهضت وخرجت. لم أر مؤخرة كهذه من قبل في حياتي. شيء يفوقُ التصوّر. يفوقُ كلّ شيء. لا تزعجوني الآن. أريد أن أفكر فيها.

٣

اليوم التالي

ألغيت الموعدَ الذي عُيّن أجلي للتحدّث أمام مكتب تجارة بالم سبرينجز.

هطل المطر. رشح السقف. سالت قطرات المطر من السقف مُصدرة صوتاً «تك. تك تك، تك تك، تك، تك تك تك تك، تك، تك، تك تك تك..».

دفّأني الساكي[1]. لكن ما معنى دفّأني؟ دفّأ صفراً. ها أنا في الخامسة والخمسين ولا أملك إناء أجمع فيه المطر. حذّرني أبي من سأنتهي مستمنياً في الباحة الخلفية لبيت أحد الغرباء في أركنساس. كنتُ ما أزال أملكُ وقتاً للقيام بذلك. شركة الحافلات «جراي هوند» تعمل يومياً، لكن الحافلات تصيبني بالإمساك وغالباً ما يكون فيها عجوز اتّحاديّ بلحية زنِخة يشخر. لعله من الأفضل أن أعمل على قضية سيلين.

هل سيلين هو سيلين أم أنه شخص آخر؟ أحياناً كنت أشعر أني لا أعرف حتّى من أكون. حسناً، أنا نِكي بيلين. لكن إليكم هذا. قد يصيح أحدهم «هيه، هاري! هاري مارتل!» وفي أغلب الأوقات أجيب «نعم.

---

(١) خمر ياباني.

ماذا تريد؟» أقصد أنني قد أكون أي شخص، ماذا يهم؟ ماذا يعني الاسم؟

الحياة غريبة، أليس كذلك؟ كنت دائماً آخر اختاروه للنزول إلى الملعب في فريق البيسبول لأنهم كانوا يعرفون أن بإمكاني إخراج ابن القحبة هذا أو ذاك من الملعب، وإرساله إلى دنفر. ليسوا سوى مجموعة سناجب غيورة!

كنت موهوباً. أنا موهوب. أحياناً أنظر إلى يديّ وأدرك أنه كان بإمكاني أن أصبح عازف بيانو عظيماً أو شيئاً من هذا القبيل. لكن ماذا فعلت يداي؟ هرشتا بيضتيّ، كتبتا شيكات، عقدتا رباط الحذاء، دفعتا رافعة المرحاض، إلى آخر ذلك. لقد أهدرت يديّ. وذهني.

جلست في المطر.

رن جرس الهاتف. نشفته بفاتورة مستحقة الدفع من دائرة الإيرادات الداخلية ورفعت السماعة.

«نِك بيلين»، قلت. أم أكون هاري مارتل؟

جاءني الصوت من الطرف الآخر:

«هذا جون بارتون».

«نعم، لقد أوصيت بي. شكراً لك».

«لقد راقبتك طويلاً. أنت تمتلك موهبة. موهبة غرّة قليلاً، لكن هذا جزء من سحرها».

«من الرائع أن أسمعك تقول هذا، ساءت أحوال العمل مؤخراً».

«لقد راقبتك طويلاً. ستفلح، عليك أن تداوم فقط».

«نعم. الآن. كيف أخدمك يا سيّد بارتون؟».

«أنا أحاول العثور على العصفور الأحمر».

«العصفور الأحمر؟ ما هذا بحق الجحيم؟».

«أنا واثق من أنه موجود، وأريد فقط أن أعثر عليه وأريدك أن تعثر عليه من أجلي».

«ألديك خيط أبدأ به؟».

«لا. لكنني متأكد من أنه في مكان ما في الخارج».

«لهذا العصفور اسم. أليس كذلك؟».

«ماذا تعني؟».

«أعني اسماً. هنري مثلاً، أو آبنر، أو سيلين؟».

«لا، اسمه العصفور الأحمر فقط. وأريدك أن تعثر عليه. أنا أثق بك».

«هذا سيكلّفك يا سيّد بارتون».

«إذا وجدت العصفور الأحمر سأمنحك مائة دولار شهرياً مدى الحياة».

«مممم.... اسمع، ما رأيك لو تعطيني المبلغ كله دفعة واحدة؟».

«لا يا نِك. ستضيّعه كله في المراهنة على الخيل».

«حسناً يا سيّد بارتون، اتفقنا. اترك لي رقم هاتفك وسأعمل على الأمر».

أعطاني الرقم وقال: «ثقتي بك كبيرة يا بيلين». ثم قطع الاتصال.

حسناً. العمل ينتعش، لكن السقف يرشح على نحو أسوأ من أي وقت مضى. نفضت عن نفسي بعض قطرات المطر، رشفت جرعة ساكي، لففت سيجارة، أشعلتها، سحبت نفساً، فخنقتني نوبة سعال.

اعتمرتُ قبعتي الديربي[1] البنية، شغّلت المجيب الآلي على الهاتف، سرت ببطء نحو الباب، وفتحته فوجدت ماكيلفي واقفاً هناك. بدا بصدره الضخم كما لو أنه يضع حشوات للكتف.

قال كأنه يبصق الكلمات: «عقدك انتهى أيها الشحّاذ. أريدك أن تُخرِج مؤخرتك الميتة من هنا!».

لاحظت كرشه حينها. كان مثل كومة ناعمة من الخراء الميّت، وغرست قبضتي في عمقها. انحنى وجهه حتى ركبتي التي ارتفعت لتقابله. سقط أرضاً، ثم تدحرج على أحد جانبيه. منظر مريع. توجّهت نحوه، سحبت محفظته. صور لأطفال في أوضاع خليعة.

فكّرت في قتله. لكنني أخذت بطاقة ائتمانه الذهبية فقط، ركلته في مؤخرته ونزلتُ في المصعد.

قررت الذهاب إلى مكتبة ريد سيراً. كنتُ كلما قدت السيارة تلقّيتُ مخالفة وقوف، إلى أن تجاوز المبلغ طاقتي.

في طريقي إلى مكتبة ريد راودني الاكتئاب قليلاً. يولد المرء ليموت. ما معنى هذا؟ التسكّع والانتظار. انتظار «القطار أ». انتظار نهدين كبيرين في إحدى ليالي أغسطس في غرفة في فندق فيغاس. انتظار أن تنمو للثعبان أجنحة. التسكّع.

كان ريد في المكتبة. قال لي: «أنت محظوظ. لتوّه خرج شيناسكي[2] ذاك المخمور، كان يتفاخر بجودة طوابع بريد بيلاوز».

---

(١) القبعة الديربي: قبعة من اللباد الخشن ذات رأس مستدير صممت عام ١٨٤٩، وراجت بين أفراد الطبقة العاملة في بريطانيا ثم بعد ذلك بين الطبقتين المتوسطة والعليا.

(٢) هنري شيناسكي: شخصية روائية بمثابة «الأنا الأخرى» للكاتب، ظهرت في خمس من رواياته والعديد من قصصه القصيرة وقصائده.

قلت: «دعك من هذا. ألديك نسخة موقَّعة من رواية **فيما أرقدُ محتضرةً** لفوكنر؟».

«بالطبع».

«بكم؟».

«٢٨٠٠ دولار».

«سأفكر في الأمر..».

قال ريد: «بعد إذنك..». ثم استدار نحو رجل يتصفّح طبعة أولى من **لا يمكنك العودة إلى البيت الآن**. وقال:

«من فضلك أعد هذا الكتاب إلى مكانه على الرف وأخرج من هنا بحق الجحيم!».

كان للرجل مظهر رقيق وضئيل، ظهره محدودب. يرتدي ما بدا أنه بذلة صفراء من المطاط. أعاد الكتاب إلى الرف ومرّ عنّا في طريق خروجه إلى الشارع، تترقرق في عينيه نداوة. كان المطر قد توقّف. كانت بذلته الصفراء المطاطية بلا نفع.

نظر إليّ ريد وقال: «أتصدّق أن بعضهم يدخل إلى هنا وفي يده المثلّجات؟».

«وأصدّق ما هو أسوأ من ذلك». قلت.

لاحظت حينها وجود شخص آخر في المكتبة. وقف بالقرب من الجدار الخلفيّ. خلتُ أنّي أعرفه من الصور. سيلين. سيلين؟

سرت نحوه ببطء. اقتربت منه كثيراً. كنتُ قريباً إلى حد كان بإمكاني أن أرى ما يقرأه. توماس مان. **الجبل السحريّ**.

رآني.

قال وهو يرفع الكتاب: «هذا الرّجل لديه مشكلة».

سألته: «وما مشكلته؟».

«إنه يعتبر الملل فنّاً».

أعادَ الكتاب إلى مكانه على الرّف ووقف هناك فحَسب، وبدا وكأنّه سيلين.

نظرتُ إليه.

قلت: «مدهش».

سألني: «ما المدهش؟».

أجبته: «ظننتك ميتاً».

نظر إليّ.

قال: «أنا أيضاً ظننتك ميتاً».

بعدها وقفنا هناك ينظر أحدنا إلى الآخر فَحَسب.

ثمّ سمعت ريد يصيح: «هي أنت! أخرج من هنا بحقّ الجحيم».

كنّا نحن الاثنين فقط في المكتبة.

سألته: «أيّنا؟».

«ذاك الذي يشبه سيلين. أخرج من هنا بحقّ الجحيم!».

سألته: «لكن لماذا؟».

«أنا أعرف من يشتري ومن لا يشتري!».

سار سيلين، أو أياً مَن كان، خارجاً. وسرتُ في عُقبه.

توجّه صوب الجادة ثم توقف عند كشك الجرائد.

كان كُشك الجرائد ذاك في موقعه منذ أن وعيت على الدنيا. أتذكر

أني وقفت هناك منذ عقدين أو ثلاثة مع ثلاث عاهرات. اصطحبتهنّ جميعاً إلى بيتي وقامت إحداهن بالاستمناء لكلبي. ظننَّ الأمر مضحكاً. كنّ مخمورات وتحت تأثير العقاقير. ثم ذهبت إحداهن إلى دورة المياه حيث سقطت واصطدم رأسها بحافة المرحاض فسال الدم في أرجاء البيت. نظّفت الحمام بمناشف رطبة كبيرة. أرقدتُها في السرير وجلست مع الأخريين إلى أن غادرتا أخيراً. بقِيتْ تلك التي في السرير لأربعة أيام وليالٍ. شربت كل بيرتي وتحدّثت عن طفليها اللذين في إيست كانساس سيتي.

وقف ذلك الرجل ـ هل هو حقاً سيلين؟ ـ عند كُشك الجرائد يقرأ مجلة. لاحظت حين اقتربت منه قليلاً أنها النيويوركر. أعادها إلى الكُشك ونظر إليّ قائلاً: «ثمة مشكلة واحدة فقط فيها».

سألته: «وما مشكلتها؟».

«إنهم لا يعرفون الكتابة. أياً منهم».

في تلك اللحظة مر بنا تاكسي.

صاح سيلين: «هيه. أيّها السّائق!».

أبطأ التاكسي فقفز سيلين إلى الأمام، انفتح الباب الخلفي واختفى بداخله.

صحت عليه: «مهلاً. أريد أن أسألك شيئاً!».

كان التاكسي يسرع باتجاه جادة هوليوود. مال سيلين للخارج، أخرج ذراعه، ورفع لي إصبعه الوسطى. ثم اختفى.

هذا أول تاكسي أراه في هذه المنطقة منذ مدة طويلة. أقصد أوّل تاكسي خالٍ يسافر على مهلٍ.

حسناً، لقد توقف المطر لكن الألم لم يزُل. صار الهواء الآن يحمل رعشة باردة وصار لكلّ شيء رائحة الفِساء الرطب.

أحنيت ظهري واتجهت صوب حانة موسو.

كانت معي بطاقة الائتمان الذهبية. شعرتُ نفسي حياً. ربّما. حتى إنني بدأت أشعر كأنني نِكي بيلين. دندنت مقطعاً صغيراً من إيريك كونس[1].

الجحيم هو ما تجعله أنت جحيماً.

---

(١) Eric Coates (١٨٨٦-١٩٥٧) موسيقار وعازف كمان إنجليزي.

٤

بحثت عن سيلين في قاموس ويبستر ١٨٩١-١٩٦١. نحن في عام ١٩٩٣. لو فرضنا أنه على قيد الحياة سيكون عمره الآن ١٠٢ عام. لا عجب أن السيّدة موت تبحث عنه.

بدا الرجل الذي رأيته في المكتبة، ما بين الأربعين والخمسين من العمر. هذا هو الأمر إذن. لم يكن سيلين. أم تراه وجد طريقة يهزم بها التقدّم في السن. انظروا إلى نجوم السينما، يأخذون الجلد من مؤخراتهم ويلصقونه في وجوههم. ذلك لأن جلد المؤخرة هو آخر ما تصيبه التجعدات. يتجولون جميعاً في سنواتهم الأخيرة بوجوه كالإليتين. أيفعل سيلين شيئاً كهذا؟ من ذا الذي يريد البقاء على قيد الحياة لمائة واثنين عام؟ الحمقى وحدهم. لماذا سيتلكأ سيلين في الحياة؟ الأمر كلّه كان جنوناً. السيّدة مَوت كانت مجنونة. أنا كنتُ مجنوناً. قائدو الطيارات مجانين. إياكم أن تنظروا إلى قائد الطيارة. فقط استقلوا الطائرة واطلبوا شراباً.

راقبت ذبابتين تتنايكان، فقررت أن أتصل بالسيدة مَوت.. فتحت سوستة السروال وانتظرت صوتها.

جاء صوتها: «هاللو».

غمغمت قليلاً. فقالت:

«ماذا، أوه، هذا أنت يا بيلين. هل تتقدّم في القضية؟».

«سيلين مات، لقد ولد عام ١٨٩١».

«أنا على علم بالتواريخ يا بيلين. اسمع، أنا أعرف أنه على قيد الحياة... في مكان ما.... وقد يكون هو الرجل الذي كان في المكتبة. هل تقترب من أيّ شيء؟ أنا أريد هذا الرجل. أريده بشدة».

«مممم».

«أغلق السوستة».

ـ «ها؟».

«قلت لك أغلق السوستة أيها الأحمق».

«آه. وهو كذلك».

«أريد دليلاً دامغاً على ما إذا كان هذا الرجل هو سيلين أم لا! أخبرتك من قبل أن هذا الأمر يستعصي عليّ بطريقة ما، لقد أوصى بك بارتون وقال إنك ـ أحد الممتازين».

«أوه. نعم. في الواقع أنا أعمل على قضية لبارتون أيضاً. أحاول العثور على عصفور أحمر. ما رأيك في هذا؟».

«اسمع يا بيلين. إذا حلّلت قضية سيلين، سوف أخبرك بمكان العصفور الأحمر».

«أحقاً يا سيّدتي؟ أوه، سأفعل أي شيء من أجلك!».

«أيّ شيء مثل ماذا يا بيلين؟».

«حسناً، من أجلك قد أقتل صرصاري الأليف. لو كانت أمي هنا لكنت جلدتها بالحزام، لَكنت..».

«كفّ عن الثرثرة! بدأت أظن أن بارتون أوصلني إلى شخصٍ خائب!

حسناً، الأفضل لك أن تواصل العمل! إما أن تحلّ قضية سيلين هذه أو أنني سألاحقك أنت!».

«هيه. انتظري لحظة يا سيدتي!».

لكن سمّاعة الهاتف كانت ميتة في يدي. أعدتها إلى مكانها على الهاتف. آششش. لن يستعصي عليها الوصول إليَّ.

لديّ عمل لأنجزه.

بحثت من حولي عن ذبابة لأقتلها.

ثم انفتح الباب فجأة، وظهر وراءه ماكيلفي ومن خلفه كومة روث كبيرة متخلّفة عقلياً. نظر ماكيلفي إليّ، ثم أشار برأسه إلى كومة الروث قائلاً: «هذا تومي».

نظر إليَّ تومي بعينيه الفارغتين الصغيرتين وقال: «مرحباً».

ابتسم ماكيلفي ابتسامة بشعة وقال: «الآنيا بيلين، تومي هنا لغرض واحد فقط هو أن يسحقك ببطء ويحوّلك إلى كومة من اللحم الدامي. أليس كذلك تومي؟».

أجاب تومي: «آهه».

بدا كمن يزن ٢٠٠ كيلوغرام. حسناً، لو حلقنا فروته فقد يقل وزنه ليصبح ١٧٠.

قلت وأنا أمنحه ابتسامة عطوفة: «اسمع يا تومي، أنت لا تعرفني، أليس كذلك؟».

«أها».

«لماذا إذن تؤذيني؟».

«لأن مستر ماكيلفي أمرني بهذا».

«تومي، لو قال لك مستر ماكيلفي أن تشرب بولك هل كنت ستشربه؟».

قال ماكيلفي: «هيه أنت! لا تشوّش الفتى!».

«تومي، هل كنت ستأكل خراء أمك لو قال لك مستر ماكيلفي كُل خراء أمك».

«ها؟».

قال ماكيلفي: «اخرس يا بيلين. أنا الذي أتحدث هنا!».

ثم التفت إلى تومي قائلاً: «الآن أريدك أن تمزّق هذا الرجل كما تمزّق جريدة قديمة. مزّق هذا الأخ إرَباً وألقِ بها في الريح. هل فهمت؟».

«فهمت يا مستر ماكيلفي».

«جميل. ماذا تنتظر إذن؟ آخر زهور الصيف؟».

تقدم تومي خطوة نحوي. سحبت المسدس من الدّرج وسددته نحو كتلته الضخمة المقزّزة وقلت: «قف مكانك يا تومي وإلا تدفق دمك أكثر حُمرةً من قمصان فريق ستانفورد لكرة القدم!».

قال ماكيلفي: «هيه. من أين أتيت بهذا الشيء اللعين؟».

«محقق بلا مسدس كقط بحذاء ثقيلٍ أو كساعةٍ بلا عقارب».

«بيلين، أنت تتحدث كالمخبولين».

«قالوا لي هذا من قبل. الآن قل لفتاك أن يبتعد عني وإلا ثقبته ثقباً يدخل منه ضوء النهار يمكنك أن تمرّر من خلاله ثمرة جريب فروت».

قال ماكيلفي: «تومي. تعال هنا وقِفْ أمامي».

وقفا هناك جامدين. كان عليّ أن أقرّرَ ما سأفعله بهما. لم يكن الأمر

سهلاً. لم أحظ بمنحة إلى أكسفورد، وكنت أنام في حصة الأحياء وكنت ضعيفاً في الرياضيات. لكنني نجحت في أن أبقى حيّاً حتى الآن.

ربما.

على كل حال. لوهلة أمسكت بورقة آس في علبة ورق. كان عليّ أن ألعب. إمّا الآن أو لن يحصل أبداً. سبتمبر على الأبواب. الغربان تتشاور. الشمس تنزف.

قلت: «حسناً يا تومي. اركع على ركبتيك ويديك! **الآن!**».

نظر إليّ كأنه لم يسمعني جيداً.

ابتسمت له ابتسامة صفراء وضغطت على زناد المسدس.

كان مغفلاً، ولكن ليس إلى هذا الحدّ.

نخّ على ركبتيه ويديه مُحدثاً هزة في الطابق السادس بأكمله كزلزال بمقياس ٥,٩ رختر. سقطت لوحة دالي غير الأصلية على الأرض، تلك التي تصوِّر ساعة ذائبة.

جثم تومي هناك مثل الأخدود العظيم[(١)] ونظر إليّ.

قلت: «الآن يا تومي، ستكون أنت الفيل وسيكون ماكيلفي راكب الفيل، مفهوم؟».

سأل: «ها؟».

نظرتُ إلى ماكيلفي، وقلت:

«هيا اركبه!! اركبه! تسلّق!».

---

(١) هو أخدود شهير بالغ العمق والاتساع يقع في الجزء الشمالي الغربي من ولاية أريزونا الأمريكية.

«بيلين. هل جُننت؟».

«من يدري؟ الجنون أمر نسبي. من الذي يضع المعايير؟».

«لا أعرف»، قال ماكيلفي.

«اركبه فقط».

«حسناً، حسناً لم أواجه متاعب كهذه من قبل مع انتهاء أي عقد».

«أركب أيها الحمار!».

امتطى ماكيلفي ظهر تومي وهو يعانى حقاً ليدلي ساقيه من أعلى جانبيه. كادت مؤخرته أن تنفلق.

قلت: «جيد. تومي، الآن أنت الفيل، ستحمل ماكيلفي على ظهرك وتسير به في الرواق حتى تدخلا المصعد. تحرك الآن!».

بدأ تومي يحبو على أرضيّة المكتب.

قال ماكيلفي: «سأجعلك تدفع ثمن هذا يا بيلين. أقسم بشعر عانة أمي!».

«إن عبثت معي مرة أخرى يا ماكيلفي فسأسحق عضوك في صرّاف القمامة!».

فتحت لهما باب المكتب فخرج تومي زاحفاً وعلى ظهره راكب الفيل.

فيما كان تومي يزحف في الرواق، أعدت المسدس إلى جيب معطفي، فشعرت بشيء ما هناك، قصاصة ورق متجعدة. أخرجتها.

كانت ورقة امتحان لتجديد رخصة القيادة. كانت تملؤها علامات حمراء. لقد رسبت.

ألقيت بها خلف ظهري وتبعت أصدقائي.

وصلنا المصعد وضغطت على الزرّ.

وقفت هناك أدندن مقطوعة من كارمن.

ثم تذكرت فجأة ومن دون أي داعٍ أنّي قرأتُ كيف عثروا على جثة جيمي فوكس في غرفة بفندق رخِيص ومشبوه. وسط كل أولئك المتشردين. ميتاً وسط الصراصير.

وصل المصعد، انفتح الباب، فركلت تومي في مؤخرته.

دلف المصعد حاملاً ماكيلفي. كان في المصعد ثلاثة أشخاص، واقفين، يقرأون جرائدهم.

واصلوا القراءة. نزل المصعد.

نزلت عبر السلالم. كنتُ أعاني من ١٥ كيلوغراماً زائدة في الوزن. كنت في حاجة للسلم.

أحصيت ١٧٦ درجة حتى وصلت إلى الطابق الأرضي. توقفت عند كشك السجائر، ابتعت سيجاراً وصحيفة ديلي راسينج فورم(١). سمعت صوت وصول المصعد.

في الخارج، سرت عبر الدخان بحزم. كنتُ أملكُ عينين زرقاوين وحذاء قديماً وحذاء ولم يحبّني أحد. لكن كانت لديّ أعمال لأقوم بها.

كنتُ نِكي بيلين، محققاً خاصاً.

---

(١) The daily racing form (نموذج السباق اليوميّ) صحيفة شعبية تأسست عام ١٨٩٤ لنشر أخبار سباق الخيل.

٥

للأسف، انتهى بي المطاف تلك الظهيرة في حلبة السباق، وليلتها سَكِرتُ. لكن الوقت لم يضع سدى. كنت أُقلّب الأفكار، أمحّص الحقائق. سيطرتُ على زمام الأمور. كنتُ سأصل إلى حلّ كلّ القضيّة في أيّ لحظة. بالطبع.

٦

في اليوم التالي جرّبت حظي وعدت إلى المكتب. إذ ماذا يكون المحقق من دون مكتب رغم كل شيء؟

فتحت الباب ومن كان يجلس خلف مكتبي؟ ليس سيلين. ليس العصفور الأحمر. بل ماكيلفي. ابتسم إليّ ابتسامة حلوة مزيّفة.

«صباح الخير يا بيلين.. كيف حالهما؟».

«لماذا تسأل؟ أتريد النظر إليهما؟».

«لا شكراً».

ثم هرش بيضتيه وتثاءب.

«حسناً نِكي، يا فتاي، لقد قام فاعل خير مجهول بدفع إيجارك لمدة عام مقدَّماً».

قال صوت بداخل ذهني: السيدة موت تلاعبك.

سألته: «هل هو شخص أعرفه؟».

«لقد أقسمت بشرف أمي ألا أفصحَ».

«شرف أمك؟ لقد تعاملت أمك مع خصى أكثر مما فعل الجزار عند الناصية!».

نهض ماكيلفي من خلف المكتب. فقلت له: «على مهلك وإلا حوّلتك إلى بطن تزحف على الأرض».

«لا يروق لي وصولك إلى أمّي».

«ولم لا؟ نصف رجال البلد فعلوا ذلك».

دار ماكيلفي حول المكتب متجهاً نحوي. فقلت: «اقترب أكثر وسأجعلك تتنفس من مؤخرتك».

توَّقفَ. أبدو مخيفاً وأنا عصبيّ.

قلت: «حسناً. أخبرني الآن بالمزيد. فاعل الخير المجهول امرأة، أليس كذلك؟».

«نعم، نعم. لم أر امرأة مثيرة مثلها من قبل!».

بدَت عيناه تلمعان، لكنهما لمعتا على الدوام.

«هيا يا ماك، أخبرني بالمزيد».

«لا أستطيع. لقد أقسمت. إنه شرف الأم».

تنهدت قائلاً: «يا يسوع.. حسناً. أخرج من هنا. لقد قبضت الإيجار».

مشى متثاقلاً صوب الباب. ثم نظر إليّ من خلف كتفه الأيسر وقال: «حسناً.. ابقِ على المكان لطيفاً ونظيفاً. لا حفلات، لا ألعاب، لا حماقات. أمامك عام».

مشى باتجاه الباب، فتحه، ثم أغلقه، واختفى.

٧

عدتُ إلى مكتبي إذن.

حان وقت العمل. رفعت سماعة الهاتف واتصلت بوكيل مراهناتي.

أجاب الطرف الآخر: «بيتزا توني في خدمتك يا سيدي».

أخبرته باسمي الحركيّ: «معك مستر موت بطيء».

«بيلين، أنت مدين لي بـ ٤٧٥ دولاراً. لن آخذ رهانك. صفِّ حسابك أولاً».

«لدي رهان بـ ٢٥ دولاراً، هذا سيسدّ نصف المبلغ، إذا خسرت، سأتدبّر لك المبلغ كله. بشرف أمي».

«بيلين. إن أمك مدينة لي بـ ٢٣٠ دولاراً».

«حقاً؟ وأمك لديها ثآليل في مؤخرتها!».

«ماذا. اسمع يا بيلين، لقد كنت...؟».

«لا. لا. كان ذلك شخصاً آخر. لقد أخبرني».

«حسناً إذن».

«حسناً. أريد أن أراهن بـ ٢٥ دولاراً على **الفراشة المحترقة** في الجولة السادسة».

«حسناً، تمت تغطيتك. حظاً سعيداً، يبدو أن حظك ينفذ».

أغلقت الخط. ابن القحبة، وُلد الإنسان ليكافح من أجل كل بوصة من الأرض. وُلد ليكافح، وُلد ليموت.

فكرت في هذا. وفكرت في ذاك.

ثم أسندت ظهري إلى المقعد. سحبت نَفَساً قوياً من سيجارتي وأطلقت دائرة دخان تامة تقريباً.

٨

بعد الغداء قررت العودة إلى المكتب. فتحت الباب فوجدت رجلاً يجلس خلف مكتبي. لم يكن ماكيلفي. كان رجلاً لا أعرفه. يحب الناس الجلوس خلف مكتبي. وبجانبه كان ثمة رجل آخر واقفاً. بدا عليهما الشر. هادئان لكن شريران.

قال الجالس: «اسمي دانتي»، وقال الواقف: «وأنا فانتي».

لم أقل شيئاً. تلمّستُ خطواتي في الضوء الشحيح. سَرَت قشعريرة باردة في عمودي الفقري ومنه إلى سقف الحجرة.

قال الجالس: «أرسلنا توني».

«لا أعرف أحداً يدعى توني، أأنتما متأكدان من العنوان أيها السيّدان؟».

قال الواقف: «أوه. نعم».

ثم قال دانتي: «لقد خرج بيرنت ـ باترفلاي من السباق إلى الأبد».

وأضاف فانتي: «أسقط راكبه من على ظهره وهو يخرج من البوابة».

«أنت تمزح».

«أنا لا أمزح. اسأل الغبار»[1].

---

(١) إشارة إلى رواية جون فانتي **اسأل الغبار**.

قال دانتي: «إنّك مراهن عاجزٌ».

وأضاف فانتي: «يقول توني إنك مدين لنا بنصف المبلغ».

«أوه. هذا هو الأمر. معي المبلغ هنا...». قلت وأنا أتحرّك نحو المكتب.

فقال دانتي ضاحكاً: «انسَ الأمر أيها الأحمق. لقد صادرنا مسدّسك الماء».

تراجعت للخلف.

قال فانتي: «الآن. أنت تدرك أننا لن نتركك تمشي في الأرض وتتنفس في سلام في حين تدين لتوني بنصف المبلغ».

«أمهلاني ثلاثة أيام..».

قال دانتي: «أمامك ثلاث دقائق».

«لماذا تتبادلان الدور في الكلام يا شباب؟ فانتي ثم دانتي وهكذا دواليك، ألا تكسرا تلك القاعدة أبداً؟».

قالا معاً: «نحن هنا لنكسر شيئاً آخر. عنقك».

«هذا أداء جيد، أحب الثنائيات».

قال دانتي: «اخرس». ثم سحب سيجارة من علبته ودسّها بين شفتيه وأردف: «اممم. يبدو أني نسيت قدّاحتي. تعال هنا أيها المغفل، أشعل لي سيجارتي».

«مغفّل؟ هل تكلّم نفسك؟».

«لا. أكلمك أنت أيها المغفل، تعال هنا وأشعل لي سيجارتي! الآن!».

أمسكت قدّاحتي. تقدمت نحوه. توقفت أمام أحد أقبح الوجوه التي رأيتها في حياتي، أشعلت قداحتي وقرّبت شعلتها من سيجارته.

قال: «ولد مطيع. الآن خذ هذه السيجارة من فمي وضعها في فمك من طرفها المشتعل وأبقها في فمك حتى آمرك بأن تخرجها».

«أها».

قال فانتي: «وإلا ثقبناك ثقباً يرقص فيه الناس الصغار سكان ديزني لاند».

«تمهّلا..».

قال دانتي: «أمامك ١٥ ثانية». ثم أخرج ساعة توقيت من جيبه وضبطها مضيفاً: «بدأنا ١٤، ١٣، ١٢، ١١..».

قلت: «أنت لست جاداً».

«١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣..».

سمعت صوت زناد الأمان.

نزعت السيجارة من فم دانتي ودسستها في فمي، من طرفها المشتعل. حاولت فرز ما يكفي من اللعاب وإبعاد لساني عن الشعلة، لكنني فشلت، مسّت النار لساني، بشدّة، آلمني!!!! كان ذلك مقرفاً ومؤلماً! بدأتُ أختنق فاضطررت إلى لفظها من فمي.

قال دانتي: «ولد سيئ. قلت لك أن تبقيها حتى آمرك بإخراجها! سنبدأ الآن من جديد».

«إلى الجحيم، اقتلني!».

«حسناً».

في تلك اللحظة انفتح الباب ودلفت السيدة موت. كانت متبرّجة، كدت أنسى ألم فمي.

قال دانتي: «آهه، من هذه الحلوة! أتعرفها يا بيلين؟».

«تقابلنا من قبل».

سارت نحو كرسي، جلست، ورفعت ساقاً فوق الأخرى، انحسرت تنورتها لأعلى. لم يتصوّر أحد منا جمال هاتين الساقين. حتى أنا الذي رأيتهما من قبل.

ثم سألتني: «مَن هذان المهرّجان؟».

«مبعوثان من قبل شخص يدعى توني».

«اصرفهما من هنا. أنا زبونتك».

«حسناً يا شباب. حان وقت انصرافكما».

قالا معاً: «أوه. حقاً؟».

وأخذا يضحكان. ثم توقفا عن الضحك فجأة.

قال فانتي: «الرجل دمه خفيف حقاً».

قال دانتي: «نعم».

قالت السيدة موت: «سأتخلّص أنا منهما». ثم راحت تحدق في دانتي، وعلى الفور وجدته يميل في جلسته للأمام فيما يشحُب لونه.

قال: «يا يسوع. ما هذا التعب؟» ثم تحوّل لون وجهه للأبيض ثم الأصفر، فقال: «أنا مريض. أنا مريض بشكل مريع..».

قال فانتي: «ربما كان السمك المقلي الذي تناولته هو السبب».

«سمك مقلي، خراء مقلي، يجب أن أذهب من هنا. سأذهب إلى طبيب أو مستشفى..».

ثم رأيتها تحدق في فانتي. فقال فانتي: «أشعر بدوار.... ما هذا؟... ومضات ضوء.... نيران... أين أنا؟».

ثم تحرّك نحو الباب، يتبعه دانتي. فتحا الباب وسارا ببطء نحو المصعد. خرجت أراقبهما وهما يدخلان المصعد. رأيتهما قبل أن ينغلق بابه. كانا في حالة مزرية. مزرية.

عدت إلى المكتب وقلت: «شكراً لكِ.. لقد أنقذتِ مؤخرتي».

نظرت حولي لكنني لم أجدها. بحثتُ خلف المكتب. لا أحد. في الحمام. لا أحد. فتحت النافذة وطللت على الشارع. لا أحد. حسناً، أعني كان هناك كثيرون في الشارع لكنها ليست بينهم. كان بوسعها أن تقول وداعاً على الأقل. مع ذلك، كانت زيارة لطيفة.

عدت وجلستُ خلف المكتب. ثم التقطت سماعة الهاتف وطلبت رقم توني.

أجابني: «نعم... هذا..».

«توني، مستر موت بطيء يتكلّم».

«ماذا؟ أما زلت قادراً على الكلام؟».

«أنا أجيدُ الكلام يا توني. لم أكن بحال أفضل من قبل».

«لا أفهم هذا...».

«لقد مرّ بي صبيانك يا توني».

«فعلاً؟ فعلاً؟».

«لقد تركتهما هذه المرّة بسهولة، لكن إن بعثتهما مرة أخرى سأهتمّ بأمرهما كما يجب».

سمعتُ صوت تنفّسه عبر الهاتف. تنفّس مرتبك جداً. ثم أغلق الخط.

أخرجت زجاجة الويسكي من درج المكتب الأيسر، فتحت غطاءها ورشفت جرعة جيدة.

إن عبثت مع بيلين ستواجه المتاعب. الأمر بهذه البساطة.

أغلقت الزجاجة، وأعدتها إلى الدرج وتساءلت ماذا سأفعل بعد ذلك؟ المحقّق الجيد لديه دائماً أشياء ليفعلها. لقد رأيت هذا في الأفلام.

٩

ثمة طرق على الباب. لا. خمس طرقات سريعة وعالية ومُلحّة.

دائماً أقرأ الطّرق على الباب. أحياناً، حين أتلقى قراءة سيئة، لا أجيب.

كان هذا الطَرق نصف سيئ فقط.

قلت: «أدخل».

انفتح الباب. رجل في منتصف الخمسينات، شبه ثريّ، شبه عصبيّ، قدمان كبيرتان جداً، شامة على الجانب الأيسر من جبهته، عينان بنّيتان، ربطة عنق. سيارتان، منزلان، لا أطفال. حمّام سباحة ومنتجع، يضارب في البورصة وأبله إلى حدّ ما.

وقف مكانه، يتعرّق قليلاً ويحدّق فيّ.

قلت: «اجلس».

قال: «أنا جاك باس، و..».

«أعرف».

«ماذا؟».

«تظن أن زوجتك تجامع آخر أو آخرين».

«نعم».

«إنّها في عشريناتها».

«نعم. أريدك أن تثبت هذا، ثم سأطلّقها».

«وماذا يهمك في الأمر يا باس. طلِّقها وانتهينا».

«أريد فقط إثبات إنها... إنها»..

«انس الأمر. فهي ستحصل على المبلغ نفسه في كلتا الحالتين. إنه العصر الحديث».

«ماذا تقصد؟».

«هذا ما يسمّى الطلاق من دون أخطاء. بغض النظر عما يفعله أي من الطرفين».

«كيف هذا؟».

«هذه هي العدالة الناجزة. لتبقى المحاكم نظيفة».

«لكن هذا ليس عدلاً».

«إنهم يعتبرونه كذلك».

جلس في كرسيه، يتنفس، وينظر إليّ.

كان عليّ أن أحل قضية سيلين وأجد العصفور الأحمر وها أنا أمام كرة اللحم الرخوة هذه، يشعرُ بالقلق لأن زوجته تضاجع رجلاً آخر.

قال: «أنا فقط أريد أن أعرف. أريد أن أعرف لنفسي».

«أجرُ خدماتي ليس رخيصاً».

«كم؟».

«ستة دولارات في الساعة».

«لا يبدو أجراً عالياً».

«إنه كذلك بالنسبة لي. ألديك صورة لزوجتك؟».

بحث في محفظته، أخرجَ صورة وناولني إيّاها.

تأملتها.

«يا ويلي! أتبدو هكذا حقاً؟».

«نعم».

«لقد انتصبت من مجرد النّظر في الصورة».

«هيّا. لا تكن وقحاً!».

«أوه، آسف.... لكن سيكون على أن أحتفظ بالصورة. وسأعيدها لك حين ينتهي الأمر».

دسست الصورة في محفظتي وسألته: «أما زالت تعيش معك؟».

«نعم».

«وأنت تذهب للعمل؟».

«نعم».

«وحينها، أحياناً، تقوم هي بـ...».

«نعم».

«وماذا يجعلك تظن أنها...».

«شكوك. مكالمات هاتفية، أصوات في رأسي، سلوكها الذي تغيّر، وأشياء أخرى كثيرة».

أدفع نحوه بدفتر ملاحظات قائلاً: «سجّل عنوانك، المنزل والعمل،

ورقم هاتف المنزل والعمل. سأتولى الأمر من هنا. سأدق مؤخرتها بالحائط[1]. سأكشف الأمر كله».

«ماذا؟».

«لقد قبلت قضيتك مستر باس. وسأخطرك بما سيُثمر عنه الأمر».

«يُثمر؟.. اسمع.. هل أنت طبيعي؟».

«أنا بخير. ماذا عنك أنت؟».

«أوه. نعم. أنا بخير».

«لا تقلق إذن. أنا رجُلَك، سأدق مؤخرتها!».

نهض باس عن كرسيه ببطء. سار نحو الباب، ثم عاد يقول: «بارتون أوصى بك».

«انصرف إذن! نهارك سعيد مستر باس».

انغلق الباب وقد اختفى. بارتون العجوز الطيب.

أخرجت صورتها من المحفظة وجلست هناك أحملق فيها.

أيّتها القحبة. فكرت بيني وبين نفسي، أيتها القحبة.

قُمتُ وأغلقت الباب، رفعت سماعة الهاتف، ثم جلست خلف المكتب أحملق في الصورة.

أيتها القحبة، فكرت بيني وبين نفسي، سأدق مؤخرتك! في الحائط!

(١) Nail someone's ass عبارة اصطلاحية من العامية الأمريكية يستخدمها رجال الشرطة بمعنى القبض على المتهم والإلقاء به في الزنزانة، رأيت ترجمتها حرفياً لأنها ستتكرر كثيراً على لسان البطل بمعنييها الحرفي والاصطلاحي.

بلا رحمة! سأقبض عليك متلبّسة! سأقبض عليكِ وأنتِ تفعلينها! أيتها العاهرة، يا قحبة، يا عاهرة!.

بدأت أنفاسي تتلاحق. فتحت سوستة البنطال. ثم ضرب الزلزال ضربته. رميت الصورة من يدي وتواريت تحت المكتب. كان زلزالاً قوياً.. نحو ٦ ريختر، شعرتُ وكأنه استمر لدقيقتين. ثم توقف. زحفت خارجاً من تحت المكتب. ما زالت سوستة بنطالي مفتوحة. الجنس فخ، شرك. الجنس للحيوانات. أنا حسّاس للغاية على هذا النوع من الحماقات. أعدت سمّاعة الهاتف إلى موضعها، فتحت الباب، خرجت من المكتب، أوصدت الباب وسرت نحو المصعد. لدي عمل لأنجزه. أنا أفضل المحققين في إل أيه[1] وهوليوود. ضغطت زر استدعاء المصعد اللعين وانتظرته.

---

(١) لوس أنجلوس.

١٠

تجاهلوا ما تبقى من ذاك النهار والليل، لا أحداث، لا شيء يستحق التحدث عنه.

١١

صباح اليوم التالي. الساعة الثامنة. أقبع في سيارتي الفولكسفاكن الخنفساء أمام منزل باس. أعاني من صداع الخُمار وأقرأ الإل إيه تايمز. على أي حال، أجريت بعض التحريات عن زوجة باس. اسمها الأول سيندي، سيندي باس، سيندي ميبيل سابقاً، يبيّن أرشيفها الصحافي أنها كانت ملكة جمال لفترة قصيرة، مِس تشيلي كووك أوف[١] عام ١٩٩٠. فتاة إعلانات، لعبت أدواراً صغيرة، تحب التزلج على الجليد، تدرس العزف على البيانو، تحب البيسبول والباليه المائي. اللون المفضل: الأحمر. الفاكهة المفضلة: الموز. تحب قيلولة الظهيرة. تحب الأطفال. تحب موسيقى الجاز. تقرأ كانط. بالطبع. تتمنى أن تدخل حانة ذات يوم، إلخ، إلخ. قابلت جاك باس عند إحدى طاولات الروليت في لاس فيجاس. بعد ذلك بيومين تزوّجا.

السّاعة قرابة الثامنة والنصف، خرج جاك باس من الموقف الخاصّ في منزله بسيارته المرسيدس متوجهاً إلى شركة آزتيك للنفط التي يشغل فيها منصباً تنفيذياً. صرنا أنا وسيندي وحدنا. سألقي القبض عليها وهي مفتوحة على مصراعيها. إنها تحت رحمتي. أخرجت الصورة لمراجعة

---

(١) Chili Cook Off حدث اجتماعي شهير في أمريكا ينعقد سنوياً يشبه حفلات الشواء.

سريعة. بدأت أتعرّق. أسدلت حافة الزجاج الواقية من الشمس. تلك العاهرة التي تستغفل جاك باس.

أعدت الصورة إلى المحفظة. بدأ الانتصاب. ماذا دهاني؟ أتؤثر فيّ هذه المرأة؟ إن لديها أمعاء مثلها مثل الآخرين، وشَعراً في فتحتي منخريها، وصمغاً في أذنيها. ماذا دهاني؟ لماذا يتماوج زجاج السيارة أمامي كموجة كبيرة؟ لا بد أنه صداع الخُمار. فودكا بالبيرة. يجب أن أدفع الثمن. مع ذلك، الأمر المميز في أن تكون سكّيراً أنك لا تعاني من الإمساك على الإطلاق. أحياناً أفكر في كبدي، لكنه لم يحتجّ قط، لم يقل يوماً: «كف عن هذا، أنت تقتلني وسأقتل!». لو كانت أكبادنا تتحدث لما احتجنا إلى برامج للعلاج من الإدمان على الخمر.

بقيت في السيارة أنتظر خروج سيندي.

كان صباحاً صيفياً قائظاً.

لا بد أنني غفوت وأنا جالس هناك. لا أعرف ما الذي أيقظني. لكنني رأيت سيارتها المرسيدس تخرج من موقف السيارة. أدارتها، وتوجَّهت جنوباً وأنا في إثرها. مرسيدس حمراء. تتبعتها للطريق السريع، طريق سان دييغو، سلكت الخطّ السريع وانطلقت. حسناً كانت تقود بسرعة ٧٥ على كل حال. لا بد أنها هائجة. إنها تريده. أشعر بشيء يرتعش بين فخذيّ. طبقة عرق تكسو جبهتي. تُزيد سرعتها إلى ٨٠، القحبة على نار! سيندي، سيندي! حافظت على مسافة أربع سيارات بيني وبينها وأنا أسير خلفها. سأدق مؤخّرتها، سأدق مؤخّرتها كما لم يدقّها أحد من قبل قط! هذا ما سأفعله! مطاردة الهدف وتحقيق الهدف! أنا نِك بيلين، المحقق الخارق!.

ثم رأيت وميض الضوء الأحمر في مرآتي الجانبية.

خراء!

تنحّيت ببطء ناحية الخط البطيء، ملت إلى جانب الخط الحديدي، ركنت الخنفساء، وخرجت منها. توقفت سيارة الشرطة على بعد خمس سيارات خلفي. خرج منها شرطيان، واحد من كل جانب. سرت صوبهما وأنا أُخرج محفظتي. استلَّ الشرطي الأطول بينهما مسدسه من قرابه وسدده نحوي قائلاً: «مكانك يا رفيق!».

توقفت قائلاً: «ماذا ستفعل بحق الجحيم، أستقتلني؟ هيا افعلها، أطلق النار!».

دار الشرطي الأقصر من خلفي وأحكم ذراعه حول عنقي وسار بي حتى مقدمة سيارة الشرطة ودفعني عليها قائلاً: «أيها الخراء، أتعرف ماذا نفعل بالحثالة أمثالك؟».

«نعم، لديّ فكرة جيدة لعينة».

قال الشرطي القصير: «هذا الحثالة متحذلق».

قال الشرطي الطويل: «بهدوء يا لوي. أحدهم هنا معه كاميرا فيديو. هذا ليس المكان المناسب».

«بيل، أنا أكره المتحذلقين».

«سنقبض عليه يا لوي، سندق مؤخرته جيداً في ما بعد».

كنت ما زلت مطروحاً على مقدمة السيارة، والسيارات تبطئ من سرعتها على الطريق السريع، والفضوليون يحدِّقون ببلاهة، قلت لهما: «هيا يا شباب، نحن نعطل المرور».

سأل بيل: «أتظن أننا نكترث بأم المرور الملعون؟».

وصاح لوي: «لقد هددتنا، لقد هاجمتنا ومددت يدك إلى حزامك».

«كنت أُخرج محفظتي. أردت أن أخرج لكما هويتي. أنا محقّق خاص معتَمد من مدينة لوس أنجلوس. وكنت أتعقّب أحد المشبوهين».

أرخى لوي قبضة الموت التي أحكمها حول ذراعي قائلاً: «قف من دون حركة».

«أوكي».

«الآن أخرج محفظتك ببطء رخصة قيادتك».

«أوكي».

ناولته ورقة صغيرة مطوية.

سألني وهو يعيدها إلي: «ما هذا بحق الجحيم؟ افردها ثم ناولنيها».

فعلت كما طلب وقلت: «إنها رخصة مؤقتة. لقد أخذوا رخصتي القديمة حين رسبت في اختبار القيادة. هذه تسمح لي بالقيادة إلى أن يحين موعد الاختبار التالي خلال أسبوع».

«أرسبت في اختبار القيادة؟».

«نعم».

«هه، بيل، هذا الرجل رسب في اختبار القيادة!».

«ماذا؟ حقاً؟».

«كان ذهني مشغولاً..».

قال لوي وهو يغمز بعينه: «يبدو أن ذهنك خالٍ تماماً».

قال بيل: «نحن نمازحك».

سألني لوي: «وتقول إنك محقق خاص معتمد؟».

«نعم».

«يصعب تصديق هذا».

«كنت في مطاردة ساخنة لإحدى المشبوهات حين رأيت ضوءكما الأحمر. كنت على وشك أن أدقّ مؤخرتها».

ثم ناولت لوي الصورة.

صاح: «يا للخراء المقدَّس!»، وظل يحدِّق في الصورة. كانت الصورة مشهداً كاملاً لسيندي بالطول. ترتدي تنورة قصيرة للغاية وقميصاً قصيراً للغاية بدون أكمام. ثم قال: «هيا يا بيل، انظر إلى هذه!».

ـ «كنت في ذيلها في مطاردة ساخنة يا بيل، كنت على وشك دق مؤخرتها».

ظل بيل يحدق في الصورة وهو يغمغم: «أهه هه آهه».

«أعد إليّ الصورة أيها الضابط، إنها دليل شخصي».

قال وهو يعيدها إليّ على مضض: «أوه، نعم، بالطبع».

قال لوي: «حسناً، كان علينا أن نقبض عليك».

ثم أردف بيل: «لكننا لن نفعل، سنسجِّل لك مخالفة لقيادتك بسرعة ٧٥ مع أنك سافرتَ بسرعة ٨٠. لكننا سنحتفظ بالصورة».

«ماذا؟».

«لقد سمعتني».

«لكن هذا ابتزاز!».

مدّ بيل يده نحو مسدسه سائلاً: «ماذا قلت؟».

«قلت اتفقنا».

أعدت إليه الصورة، راح يسجّل المخالفة ووقفت هناك منتظراً، ثم ناولني التذكرة قائلاً: «وقّع عليها».

وقّعت عليها. فانتزعها من الدفتر ودفعها إليّ.

«أمامك عشرة أيام لدفع المبلغ، أو للتقدم بشكوى للمحكمة خلال الفترة المحدَّدة».

«شكراً أيها الضابط».

فأردف لوي: «قُد بحرص».

«وأنت أيضاً يا رفيق».

«ماذا قلت؟».

«قلت طبعاً».

سارا يتبختران نحو سيارتهما، وسرت نحو سيارتي. ركبت السيارة وأدرت المحرك. كانا هناك خلفي. اندمجت في حركة المرور وأبقيت السرعة عند ٦٠.

فكرت بيني وبين نفسي: ستدفعين الثمن غالياً يا سيندي! سأدق مؤخرتك كما لم تُدق من قبل قط!.

وصلت إلى مخرج نحو طريق هاربور السريع، أخذت طريق ١١٠ جنوباً وقدت بلا وجهة لم أكد أعرف أين أنا.

١٢

قدت حتى نهاية طريق هاربور السريع. وصلت سان بيدرو. قدت في شارع خالٍ، انعطفت يساراً إلى شارع ٧، مررت بمبانٍ قليلة، انعطفت يمينا إلى شارع الباسيفيك، قدت بلا وجهة حتى رأيت حانة اسمها «الخنزير الظمآن»، ركنت السيارة ودخلت الحانة. كانت مظلمة من الداخل. التلفزيون مطفأ. الساقي رجل عجوز، بدا في الثمانين من عمره، كل ما فيه أبيض، شعر أبيض، جلد أبيض، شفتان بيضاوان. ثمة رجلان عجوزان آخران، أبيضان كالطباشير. بدا وكأن الدم قد توقف عن السريان في عروقهم جميعاً. ذكّروني بذبابات عالقة في شبكة عنكبوت امتصت دماءها حتى جفت. لم أرَ مشروبات. كان الجميع جامدين بلا حراك. جموداً أبيض.

وقفت عند عتبة الباب أنظر إليهم.

أخيراً أصدر الساقي صوتاً... «إتش؟».

سألتهم: «هل رأى أحدكم سيندي؟ أو سيلين؟ أو العصفور الأحمر؟».

ظلوا ينظرون إليّ من دون أن يأتي أحدهم بحركة واحدة. تحرّك فم أحد العرّابين متحولاً إلى دائرة مبلّلة، كان يحاول أن يتكلم، لكنه لم يستطع. مدّ العراب الآخر يده وهرش بيضتيه. أو حيث كانت بيضتاه.

ظل الساقي بلا حراك. بدا كما لو أنه صُنع من لوح ورق مقوّى. ورق مقوّى وقديم. شعرت فجأة إنني شاب.

تقدمت إلى الأمام وجلست على أحد كراسي البار، سائلاً: «هل من فرصة لتناول أي شراب هنا؟».

غمغم الساقي: «إتش...».

- «فودكا ٧، بدون ليمون».

بدءاً من تلك اللحظة، عدّوا أربع دقائق ونصف وانسوها، هذا ما استغرقه الساقي ليأتيني بطلبي.

- «شكراً، الآن أعدّ لي كأساً أخرى وأنت ما زلت تتحرك».

ارتتشفت جرعة من الكأس، لم يكن سيئاً، له باع طويل بالتأكيد.

جلس الرجلان العجوزان هناك يحدقان بي. سألتهما: «الجو جميل اليوم أليس كذلك يا شباب؟».

لم يجيباً. شعرت أنهما لا يتنفسان. أليس علينا أن ندفن الموتى؟

«اسمعا يا شباب. متى كانت آخر مرة قام أحدكما بخلع سروال داخلي لامرأة؟».

أخذ أحدهما يدمدم: «هيه.. هيه.. هيه».

«أوه، ليلة أمس، هه؟».

«هيه.. هيه.. هيه!».

«أكان جيداً؟».

«هيه.. هيه. هيه. هيه!».

بدأ يغالبني الاكتئاب. لم تكن حياتي تسير في أي اتجاه. كنت بحاجة

إلى شيء ما، بريق ضوء، لمعان، شيء ما لعين، وها أناذا، أتحدث مع الموتى.

أنهيت كأسي الأولى. كانت الثانية جاهزة.

دلف الحانة رجلان مقنّعان بجوارب.

وضعت كأسي الثانية على البار.

صاح أحدهما: «**حسناً، بلا خراء من أي منكم! ضعوا المحافظ والخواتم وساعات اليد على البار! الآن**».

قفز الآخر على البار وهرع إلى ماكينة النقود. ظل يضربها صائحاً: «**كيف يعمل هذا الشيء اللعين؟**». نظر حوله، رأى الساقي فصاح به وهو يسدّد مسدسه نحوه: «**هيا يا جدي! تعال هنا وافتح هذا الشيء**». فجأة عرف الساقي كيف يتحرَّك. وفي لمح البصر كان أمام الماكينة وفتحها.

صاح الأول وهو يضع الأشياء التي وضعناها له على البار في كيس: «**هات علبة السيجار! من أسفل البار**».

كان مَن خلف البار ينقل النقود من الماكينة في كيس. وجد علبة السيجار. كانت مليئة. ألقى بها في الكيس وقفز على البار. ثم وقف الاثنان هناك للحظة.

قال الذي قفز من فوق البار: «أشعر بالجنون».

«انس الأمر، سنذهب».

صاح شريكه: «**أشعر بالجنون**». ثم سدّد مسدسه نحو الساقي وأطلق ثلاث طلقات. في البطن. ارتعش العجوز ثلاث مرات، ثم سقط صريعاً.

صاح فيه الآخر: «**أيتها الغبي المنيك. لماذا فعلت هذا؟**».

صرخ شريكه وهو يصوِّب مسدسه نحوه: «**لا تدعوني غبياً. وإلا قتلتك أنت أيضاً**». لكنه تأخّر، دخلت الرصاصة في أنفه ونفذت من قفاه. سقط على الأرض آخذاً معه أحد كراسي البار. هرع الآخر إلى الخارج. عددت من واحد لخمسة، ثم ركضت وراءه. كان الرجلان العجوزان ما زالا حيّين عندما غادرت، على ما أظن.

سرعان ما كنتُ في سيارتي. ابتعدت عن الرصيف، قدت مسافة قصيرة، انعطفت يميناً، دخلت في شارع خلفي، ثم ابطأت سرعتي وقدت بلا وجهة. حينها سمعت صوت صفارة الإنذار، أشعلت سيجارة بارتباك وشغّلت الراديو. موسيقى راب. لم أفهم تقريع المغنّي.

احترتُ بين العودة إلى البيت أم إلى المكتب.

انتهى بي الأمر في السوبر ماركت أدفع عربة تسوّق أمامي. ابتعت خمس ثمرات جريبفروت، ودجاجة مشوية وسلاطة بطاطس. وفودكا وورق تواليت.

١٣

وجدتني عدت إلى البيت. التهمت الدجاجة وسلاطة البطاطس. دحرجت ثمرات الجريبفروت على السجادة. شعرت بإحباط. كل شيء هزمني.

ثم رن جرس الهاتف. بصقت جناح دجاجة نصف مطهي من فمي وأجبت.

«نعم؟».

«مستر بيلين؟».

«نعم؟».

ـ «لقد كسبت رحلة مجانية إلى هاواي».

وضعت السماعة. سرت إلى المطبخ وصببت فودكا ومياه معدنية وقليلاً من صلصلة الفلفل الحار. جلست أحمل الكأس، رشفت نصف جرعة ثم سمعت طرقاً على الباب. قرأته طرقاً سيئاً لكنني مع ذلك قلت: «ادخل».

للأسف الشديد، كان جاري الذي يقطن الشقة ٣٠٢. ساعي البريد. تتدلى ذراعاه دائماً على نحو مضحك. وذهنه أيضاً. وعيناه لا تنظران إليك أبداً بل إلى نقطة ما أعلى رأسك. كأنك في الخلف هناك وليس مكانك. فيه أشياء أخرى قليلة خاطئة.

«بيلين، ألديك مشروب لي؟».

«في المطبخ، اخدم نفسك».

«بالتأكيد».

سار نحو المطبخ وهو يصفّر ديكسي[1] ثم عاد يسير على مهل، يحمل كأسين بكلتا يديه. جلس أمامي مباشرة وقال وهو يشير برأسه إلى كأسه: «لا ينقصني شيء».

«أتعرف؟ إنهم يبيعون هذا في أماكن كثيرة. يجب أن تموّن نفسك».

«انسَ.. اسمع يا بيلين، أنا هنا لأتحدث في أمور جدية».

تجرّع الكأس التي في يده اليمنى دفعة واحدة وألقى بها على الحائط فتهشّمت. تعلّم هذه الحركة منّي. ثم أضاف: «اسمع يا بيلين، أنا هنا لأضعنا نحن الاثنين على أولى درجات سلم المجد».

«بالطبع. هات ما عندك».

«لوكو مايك. شارك في السباق ذاك النهار وركض مثل لسان مجذوم على نهد فتاة عذراء ـ قطع الربع الأول في ٢١ ثانية، وانطلق في الحلبة بسرعة خمسة أطوال. بلغ الرهان عليه ٢٠ ألف دولار، خسر بطول ونصف فقط. الآن انخفضت الرهانات لـ ١٥ ألف. أرنب كهذا، نحو ٦ فيرلنغ[2]. لن يروا منه سوى فتحة مؤخرته. أدرجته الراسينج فورم في قائمة الـ ١٥! ربح مؤكد! سأقتطع لك نصيباً منه، يا صديقي العزيز!».

ـ «لماذا تقتطع لي نصيباً؟ لماذا لا تأخذه كله وحدك؟».

جرع كأسه الأخرى دفعة واحدة. ثم جال بنظره حوله. رفع الكأس.

---

(١) أغنية شعبية أمريكية.

(٢) وحدة قياس تعادل ثُمن الميل.

فقلت: «توقّف عندَك.. إن حطمت هذه الكأس سيكون لديك فتحتان في مؤخرتك».

«هاه؟».

«فكِّر في الأمر».

وضع ساعي البريد الكأس بهدوء. وسأل: «ألديك شيء آخر يُشرب؟».

«أنت تعرف مكانه. ـ لي كأساً معك».

سار نحو المطبخ. أحسست أن صبري ينفد تدريجياً.

ثم عاد وناولني كأسي.

قلت: «لا.. سآخذ كأسك».

«لماذا؟».

«إنه أقوى».

ناولني الكأس الأخرى وجلس.

«والآن، كما قلت لك يا حقيبة البريد، لماذا تشركني؟».

«حسناً، آآآ...».

«نعم. استمر».

«أنا مفلس. ليس معي شيء لأراهن به. لكنني سأرد لك المبلغ من الربح».

«هذا لا يروق لي».

«اسمع يا بيلين أنا فقط بحاجة إلى هرشة صغيرة».

«كم؟».

«٢٠ دولاراً».

«هذا مبلغ ضخم أيها اللعين».

«١٠ دولارات».

«١٠ دولارات لعينة؟».

«حسناً. ٥دولارات».

«ماذا؟».

«دولاران».

«اسحب كيسكَ واخرج من هنا!».

شرب كأسه دفعة واحدة ونهض. أنهيت كأسي. ظل واقفاً أمامي ثم سأل: «لماذا كل هذا الجريبفروت على الأرض؟».

«لأنني أحبه هكذا».

نهضت وتحركت نحوه قائلاً: «حان وقت رحيلك يا رفيق».

- «وقت رحيلي، هه؟ سأرحل متى شئت!».

جعلته الخمر أكثر جرأة. هذا يحدث.

ضربته بقبضتي في بطنه. كانت لي قبضة حديدية. كادت قبضتي تخترق بطنه.

سقط على الأرض.

خطوت فوقه وجمعت بعض الزجاج المهشم من على الأرض ثم عدت إليه وفتحت فمه وحشرت فيه الزجاج ثم ضغطت على وجنتيه جيداً ولطمتهما قليلاً. احمرّت شفتاه.

ثم عدت إلى الشّرب. بعد مرور نحو ٤٥ دقيقة على ما أظن بدأ ساعي البريد يتحرك. انكفأ على بطنه، بصق كسرات الزجاج وراح

يزحف نحو الباب. بدا مثيراً للشفقة. زحف إلى الباب مباشرة. فتحته له، خرج من شقتي وزحف حتى وصل شقته. يجب أن آخذ حذري منه في المستقبل.

أغلقت الباب.

جلست ووجدت نصف سيجار في منفضة السجائر. أشعلته. سحبت نفساً، اختنقت. حاولت مرة أخرى. لم يكن سيئاً.

شعرت بالانغلاق على ذاتي.

قررت ألا أفعل شيئاً آخر لبقية اليوم.

الحياة تُنهك المرء، تُبليه.

غداً سيكون يوماً أفضل.

١٤

في اليوم التالي عدت إلى مكتبة ريد. عدت للعمل على قضية سيلين مجدداً. كان ميدان السباق مغلقاً وكان يوماً غائماً. انشغل ريد بوضع بطاقات أسعار على بعض الكتب النادرة.

سألني: «ماذا عن حانة موسو؟».

«لا أستطيع يا ريد. يبدو إنني آكل طوال الوقت. انظر إليّ».

فتحت معطفي. نتأ بطني من قميصي حيث انخلع أحد أزراره.

«الأفضل لك أن تشفط بعض هذه الدهون. ستصاب بأزمة قلبية. إنهم يشفطون الدهون من الإنسان بأنبوب. يمكنك أن تضعها في جرَّة وتنظر إليها، سيجعلك هذا تقلل من كعكات الجيلي».

«سأفكر في الأمر. هل لك في جريبفروت؟».

«جريبفروت؟ هذا لا يسبب دهوناً».

«أعرف. لكنه خطير. تعثرتُ بواحدة حين استيقظت هذا الصباح».

«أين تنام؟ في الثلاجة؟».

تنهدت وأجبته: «اسمع، لنغيّر الموضوع.. أتعرف هذا الرجل الذي يشبه سيلين؟».

«أوه.. ذاك».

«ذاك. أجاء هنا مؤخراً؟».

«لا لم يأت منذ كنت أنت هنا. أتتعقب ذالك الطير؟».

«يمكنك أن تقول هذا».

في تلك اللحظة دخل سيلين المكتبة. هكذا بكل بساطة. مرَّ بنا وسار في الممر بين الكتب والتقط كتاباً وفتحه.

سرت نحوه. دنوت منه كثيراً. كان يمسك بنسخة موقعة من رواية **فيما أرقد محتضرة**. قال حين لاحظ اقترابي منه: «في الماضي كانت حياة الكُتّاب أمتع من كتاباتهم. الآن لا هم ولا كتاباتهم ممتعين في شيء». ثم أعاد وضع فوكنر مكانه بين الكتب.

سألته: «أتقيم في المنطقة؟».

«ربما، ماذا عنك أنت؟».

«كانت لكنتك فرنسية ذات مرة أليس كذلك؟».

«ربما، ماذا عنك أنت؟».

«أوه. لا شيء كهذا. اسمع. هل أخبرك أحد من قبل إنك تشبه أحداً ما؟».

«كلنا، إلى هذا الحد أو ذاك، نشبه أحداً ما. اسمع، ألديك سيجارة؟».

«بالطبع». قلت وأنا أدسّ يدي في جيبي.

قال: «من فضلك خذ سيجارة وأشعلها ودخّنها. سيبقيك هذا مشغولاً». ثم سار مبتعداً.

أشعلت سيجارتي، سحبت نفساً، ثم سرت في إثره. أومأت إلى ريد مودّعاً وخرجت إلى الشارع في اللحظة التي كان يركب فيها سيلين

سيارة فيات موديل ٨٩ كانت تركن بجانب الرصيف. ومن التي كانت تركن بجانبها مباشرة؟ خنفسائي. يا له من حظ! هذا ما يُدعى نَيك الاحتمالات! تلك أول مرة أجد فيها مكاناً لركن السيارة منذ أشهر! قفزت داخل سيارتي وأدرتها سريعاً وانطلقت في إثره.

اتجه شرقاً نحو جادة هوليوود.

قلت بيني وبين نفسي: هيا يا سيّدة مَوت راقبيني وأنا أعمل من أجلك.

ثم كدت أفقده عند أول إشارة مرور، لكنني عبرت قبل الضوء الأحمر بلحظة من دون مشاكل، باستثناء سيدة عجوز في سيارة كاديلاك نعتتني بلفظة قذرة. فابتسمت.

سرعان ما صرت أنا وسيلين على طريق هوليوود السريع فيما كانت الشمس تحترق بين الغيوم. أبقيت سيلين في مرمى بصري. شعرت بحال جيدة. ربّما أجعلهم حقاً يشفطون الدهون من جسدي بأنبوب. ما زلت شاباً. كانت حياتي لا تزال أمامي.

ثم أخذ سيلين طريق هاربور السريع.

ثم سانتا مونيكا.

ثم سان دييجو. جنوباً.

ثم طريقاً جانبياً.. وأنا في إثره. بدت المنطقة مألوفة لديّ. كنت خلفه بمسافة ما آملاً ألا ينظر في مرآته الجانبية كثيراً.

ثم رأيته يبطئ ويلتف باتجاه الرصيف ويتوقف. توقفت بجانب الرصيف وبقيت مكاني أراقبه.

ترجّل من سيارته وسار، عَبَرَ عدة منازل، ثم قطع الشارع وهو

يتلفّت وراءه، ثم توقف وتلفّت حوله مجدداً، ثم سار نحو مدخل منزل. صعد درجات المدخل، تلفت حوله، ثم طرق الباب. كان منزلاً ضخماً وله هيئة مألوفة.

انفتح الباب ودخل سيلين.

عدت إلى سيارتي ورحت أقود ببطء لأراقب المنزل الذي دخله. إنه منزل جاك باس. قل هذا بسرعة شديدة. كانت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. مرسيدس سيندي الحمراء تقف في ممر السيارات الخاص بالمنزل.

درت حول المنزل وركنت في موقعي القديم.

أنا على وشك أن أضرب عصفورين بحجر واحد. على وشك فضح سيلين ودق مؤخرة سيندي.

سأمنحهما بعض الوقت. عشر دقائق.

حين كنت في المدرسة الإعدادية، سألتنا إحدى المدرّسات ذات مرة «ماذا نريد أن نكون حين نكبر؟» قال أغلب الصبية إنهم يريدون أن يكونوا رجال مطافئ. غباء منهم هذا، فقد يحترقون. قليلون من قالوا إنهم يريدون أن يكونوا أطباء أو محامين، لكن لم يقل أحد «أريد أن أكون محققاً خاصاً». وها أنا ذا صرت واحداً. أوه، حين سألتني قلت لها «لا أدري..».

مضت الدقائق العشر. سحبت كاميرتي الفيديو، فتحت باب السيارة وترجّلت منها. أغلقت الباب بركلة من قدمي وسرت نحو المنزل. وجدتني أرتعش قليلاً. أخذت نفساً عميقاً وصعدت الدرج حتى الباب. لم يشكّل قفله مشكلة. كنت بالداخل خلال ٤٥ ثانية.

سرت في الردهة ثم سمعت أصواتاً. اقتربتُ من باب صدرت الأصوات من خلفه. نبرات خافتة. ملت على الباب بجسدي وتنصّتّ.

صوت سيلين: «أنتِ في حاجة لهذا... أنتِ تعرفين هذا..».

صوت سيندي: «أنا... لست واثقة.. لنفرض أن جاك عرف بالأمر».

«لن يعرف أبداً..».

«جاك رجل عنيف..».

«لن يعرف أبداً.. هذا لمصلحتك أنت..».

ضحكت سيندي قائلة: «لمصلحتي؟ ألن تنتفع أنت بشيء؟».

«بالطبع... هنا.. هنا.. انظري.. امسكي هذا بيدك... إنها بداية..».

انتظرت بضع ثوانٍ ثم فتحت الباب بركلة من قدمي ودخلت قافزاً بكاميرتي بعد أن شغلتها وضبطت تركيز عدستها.

كانا يجلسان إلى طاولة قهوة وبدا أن سيندي توقّع على أوراق ما. رفعت بصرها عن الأوراق وصرخت.

قلت: «أوه.. خراء»، وأخفضت الكاميرا.

سأل سيلين: «ماذا يحدث بحق الجحيم؟ أتعرفين هذا الرجل؟».

«لم أره من قبل قط».

«أنا رأيته، إنّه يتجوّل في تلك المكتبة ويطرح عليّ أسئلة خرقاء».

«سأتصل بالشرطة».

قلت: «انتظري لحظة، سأشرح لكِ كل شيء».

قالت: «الأفضل لك أن يكون كلامك مقنعاً».

عقّب سيلين: «الأفضل لك هذا».

لم يخطر ببالي أي شيء مقنع. ظللت واقفاً هناك.

قالت سيندي: «سأتصل بالشرطة الآن!».

«انتظري... إن زوجك، جاك باس، استأجرني. أنا محقق خاص».

«استأجرك؟ لماذا؟».

«لأدق مؤخرتك».

«تدق مؤخرتي؟».

«نعم».

قال سيلين: «لقد كنت أبيع لهذه السيدة بوليصة تأمين على الحياة، وتأتي أنت لتقتحم المنزل بكاميرتك هكذا».

ـ «أنا آسف، كان ذلك خطأ. أرجوكما اسمحا لي أن أتدارك خطئي».

سأل سيلين: «كيف بحق الجحيم ستتداركه؟».

«لا أعرف الآن.. أنا آسف حقاً. سأجد طريقة لتصحيح الأمر كله. حقاً».

قالت سيندي: «هذا الرجل مغفّل حقاً، متخلّف عقلياً!».

«أنا آسف. لكنني سأنصرف الآن. سأتصل بكما بخصوص كل شيء».

أعلنت سيندي: «سنسلّمك للشرطة».

«يجب أن أنصرف».

«أوه. لا. أنت لن تتحرك من هنا!» ثم ضغطت زراً فيما كنت أستدير

لأخرج من الباب، لكنني وجدت نسخة طبق الأصل من كينج كونج[1] تسدّه، وتتحرك بكتلتها الضخمة نحوي. سألته: «هيا يا فتى، أتحب الحلوى؟».

«أنت أيها الأحمق حلواي!».

- «ما رأيك في بعض الألعاب إذن؟ الألعاب التي تحبها؟».

تجاهل كينج كونج هذا ونظر إلى سيندي يسألها: «أتريدينني أن أقتله؟».

«لا يا بروستر، فقط اجعله عاجزاً عن الحركة لفترة من الوقت».

«أوكي».

تحرك نحوي، فقلت: «بروستر، من انتخبت للرئاسة؟».

«هاه؟».

توقف ليفكر، فقذفت كاميرتي نحو بيضتيه، أصبت الهدف مباشرة. انحنى وهو يمسكهما.

ركضت والتقط الكاميرا وضربته بها على قفاه. سمعت صوت زجاجها يتكسر.

سقط كينج كونج مغشياً عليه ووجهه ونصف جسده على الأريكة، والنصف الآخر في مكان آخر.

قفزت إلى الأمام التقطتّ الكاميرا ووضعتها على كتفي. نظرت إلى سيندي قائلاً: «ما زلت سأدق مؤخرتك».

صرخت: «هذا الرجل مجنون».

---

(١) غوريلا وشخصية روائية ظهرت في عدة أفلام سينمائية منذ عام ١٩٣٣.

قال سيلين: «أعتقد أنكِ على حق».

درت على عقبي وخرجت أهرول كمن يهرب من الجحيم.

يوم آخر ضاع سدى.

١٥

في اليوم التالي عدتُ إلى مكتبي. بدا أنّ كل شيء قد وصل إلى طريق مسدود. قضيتُ ليلةً مريعة. حاولت أن أسكر لأنام، لكن جدران شقتي رفيعة فسمعتُ كل ما دار في الشقة المجاورة....

ـ «هيه، يا صغيرتي، عنق الديك الرومي هذا معبًّا بمعجون أبيض لزج يجب أن يخرج منه وإلا سأصاب بذبحة أو شيء كهذا!».

«هذه مشكلتك أيها المغفل».

«لكننا متزوجان!».

«أنت قبيح جداً».

«ماذا؟ لم تخبريني بهذا من قبل».

«لقد قررت هذا الآن فقط».

«حسناً.. القشدة تتصاعد حتى أذني يا صغيرتي! يجب أن أفعل شيئاً!».

«أفعلها من دوني يا حفّار الصخور».

«أوكي، أوكي، أين القطة؟».

«القطة؟ أوه، لا، أيها الشاذ، ليس تينكر بيل!».

«أين تلك القطة اللعينة؟ كانت للتو أمامي!».

«إياك أن تجرؤ! إياك أن تجرؤ! ليس تينكر بيل!».

لم أستطع أن أسكر حتى النوم. بقيت في مكاني أصبُّ وأشرب فقط.

والآن، كما قلت، كان الصباح التالي، عُدت إلى المكتب. شعرت بلا جدوى تامة. كنت بلا نفع. يوجد في الخارج ملايين النساء ولا واحدة منهنّ تتجه نحو بابي. لماذا؟ لأني خاسر. أنا محقِّق لا يستطيع حل أي قضية.

راقبت ذبابة تسير على سطح المكتب وكنت على وشك أن أرسلها إلى الظلمات حين ومض بريق ضوء!

قفزت ناهضاً.

كان سيلين يبيع لسيندي بوليصة تأمين! تأمين على الحياة من دون عِلم جاك باس! سوف يقضيان عليه الآن ويجعلان الأمر يبدو كأنه مات بشكل طبيعي! إنهما متواطئان في هذا معاً! لقد أمسكت بهما من بيضاتهما. حسناً أمسكت بسيلين من بيضتيه. وسيندي ـ حسناً، سأدق مؤخرتها. جاك باس في مأزق. والسيدة موت تريد سيلين. لم أعثر على العصفور الأحمر بعد. لكنني شعرت أنني أتحرك نحو شيء ما. شيء ما كبير. أخرجت يدي من جيبي والتقطت سماعة الهاتف. ثم أعدتها مرة أخرى. بمن كنت سأتصل بحق الجحيم؟ عرفت كم كان الوقت. وجاك باس في مأزق عميق. كان عليّ أن أفكر. حاولت أن أفكر. ما زالت الذبابة تزحف على سطح المكتب. لففت الراسينج فورم وضربتها بها، لكنني لم أصبها. هذا يوم نحس. أسبوع نحس. شهر نحس. عام نحس. حياة نحس. اللعنة.

أسندت ظهري على الكرسي. وُلدت لأموت. ولدت لأحيا كسنجاب أنهكته المطاردات. أين فتيات الكورس؟ لماذا أشعر إنني في جنازتي؟

انفتح الباب بقوة وظهر سيلين. قلت: «أنت.. إنك أنت».

قال: «أعرف تلك الأغنية».

«ألا تطرق أبداً؟».

«بحسب الظروف.. أتمانع إن جلست؟».

«نعم، هيّا تفضل».

مد يده إلى علبة السيجار، أخذ واحداً، نزع قشرته.. ثم قضم طرفه.. أخرج قداحة، أشعله، سحب نفساً، ثم أطلق سحابة دخان رائعة.

قلت له: «إنهم يبيعون هذا.. أتعرف ذلك؟».

«ما الذي لا يبيعونه؟».

«الهواء. لكنهم سيبيعونه قريباً. الآن.. ماذا تريد؟».

«حسناً، أيها الرفيق الطيب».

«اختصر الهراء».

«وهو كذلك، وهو كذلك.. حسناً، لنرى..». قال وهو يرفع قدميه على مكتبي.

«حذاء لطيف... من فرنسا؟».

«فرنسا، كرانسا، من يهتم؟» وأطلق سحابة دخان أخرى.

سألته: «لماذا أنت هنا؟».

«سؤال جيد.. يظل يدوّي كالرعد على مر القرون».

ـ «يدوّي؟».

«لا تكن ضيق الخلق هكذا بربّك. إنك تتصرف كمن قضى طفولة تعيسة».

تثاءبت.

«الأمر هكذا إذن. أنت في خراء عميق بتهمتين على الأقل. اقتحام وتعدٍّ. واعتداء بالضرب..».

«ماذا؟».

«بروستر الآن خَصيّ. لقد سحقت بيضتيه بكاميرتك، تبدوان الآن كتينتين مجففتين، يستطيع الآن أن يغني سوبرانو عالياً[1] في الأوبرا».

«ثم؟».

«نحن على علم بمكان ذلك المجرم الذي اقتحم واعتدى، والذي قضى على رجولة آخر».

«ثم؟».

«ويمكننا إبلاغ الشرطة».

«ألديكم أي دليل حقيقي؟».

«ثلاثة شهود».

«كثير».

أنزل قدميه عن المكتب، مال بجذعه على المكتب مقترباً مني، وحدّق في عيني مباشرة وقال: «بيلين، أحتاج قرضاً بعشرة آلاف دولار».

«الآن فهمت.. لقد فهمت! إنه ابتزاز! أيها الحقير! أنت تبتزني!».

---

(١) الصوت النسائي ذو الطبقة العالية في الغناء الأوبرالي.

شعرت بالحمية تأخذني. شعور رائع.

«هذا ليس ابتزازاً أيها المأفون.. أنا فقط أطلب منك أن تقرضني عشرة آلاف دولار. قرض، ألا تفهم؟».

«قرض؟ ألديك ضمانات؟».

«لا بحق الجحيم».

وقفت خلف مكتبي وزعقت: «أيها المحتال الملعون! أتظن أنك ستنجو بهذا؟» ثم درت حول المكتب متوجهاً نحوه. فصرخ:

«بروستر.. الآن!».

انفتح الباب ودخل بروستر صديقي القديم يمشي على مهل. قال بصوت حاد جداً: «مرحباً يا مستر بيلين!»، لكن ذلك لم يجعله يبدو أصغر حجماً، كان أضخم ابن عاهرة رأيته في حياتي. عدت خلف مكتبي، فتحت الدرج وسحبت منه مسدسي الخمسة وأربعين وصوّبته نحوه قائلاً:

«انظر يا فتى، هذا الشيء يمكنه إيقاف قطار! أتريد أن تلعب تووت تووت؟ هيا، هيا، تووت تووت! القطار يسير على القضبان متجهاً نحوي! سأجعلك كالمصفاة! هيا، هيا، تووت تووت! هيا!».

سحبت زناد الأمان وصوبت نحو بطنه الضخم.

توقف بروستر.

«أنا لا أحب هذه اللعبة..».

«جيد.. الآن.. أترى هذا الباب هناك؟».

«آها».

«هذا باب الحمّام. أريدك الآن أن تذهب إلى هناك وتجلس على

Twitter: @ketab_n

القعّادة. ولا يعنيني إن كنت ستخلع سروالك أم لا. لكنني أريدك أن تدخل الحمام وتجلس على القعّادة وتبقى هناك حتى أناديك!».

«أوكي».

سار نحو باب الحمام، فتحه، واختفى بالداخل. كتلة ضخمة من اللاشيء مثيرة للشفقة وخطيرة.

سددت المسدس نحو سيلين قائلاً: «أنت!».

«أنت تُفسِد الأمور يا بيلين...».

«أنا دائماً أفسِد الأمور. الآن. أنت... أدخل الحمام مع فتاكَ. هيا. الآن.. تحرك!».

أطفأ سيجاره ثم تحرّك نحو باب الحمام ببطء. سرت خلفه أدفعه بفوهة المسدس.

«تحرك.. ادخل!».

دخل وأغلق الباب. أخرجت مفاتيحي وأوصدت عليهما الباب. ثم توجّهت إلى مكتبي وبدأت أدفعه ببطء نحو باب الحمام. كان عليّ أن أزحزحه بوصة تلو أخرى. كان ذلك شاقاً حقاً. استغرقني الأمر عشر دقائق لأحرّكه مسافة ١٥ قدماً ثم انطلق شاقاً طريقه ليسدّ باب الحمام تماماً.

وصلني صوت سيلين من وراء الباب: «بيلين.. أخرجنا من هنا الآن وسنكون متعادلين. لن أحتاج لقرض، ولن نبلغ الشرطة، وبروستر لن يتعرض لك بأذى وسأهتم بشأن سيندي».

ـ «ماذا أيها الصغير، أنا سأهتم بشأن سيندي! سأدق مؤخرتها!».

تركتهما هناك. أوصدت باب المكتب، سرت في الرواق ونزلتُ عبر

المصعد. شعرت فجأة بأن كل شيء على ما يرام. خبط المصعد في الطابق الأرضي وخرجت إلى الشارع. منحت أول متشرّد قابلني دولاراً، وقلت للمتشرد الثاني إنني لتوي قد منحت متشرداً آخر دولاراً، الثالث، الشيء نفسه، إلى آخره. حتى إن الجو لم يكن غائماً، كنت أمضي للأمام بهمّة. لقد قررت ماذا سأتناول على الغداء: جمبري وبطاطس محمرة. تبدو قدماي جيدتين وهما تتحركان على الرصيف.

١٦

بعد الغداء، أوقفت سيارتي قريباً من منزل سيندي. كانت سيارتها المرسيدس الحمراء في الموقف الخاص بالمنزل. الأرجح إنها تنتظر عودة سيلين وبروستر. يا للأسف. شغّلت الراديو لأسمع أي أخبار.

«أيها الأحمق». جاءني الصوت من الراديو. «أنت لا تحرز أي تقدم!».

«من؟ أنا؟».

«أنتَ الوحيد الذي يجلس هنا، أليس كذلك؟».

نظرت حولي وقلت: «بلى.. أنا الوحيد».

«هزّ مؤخرتك إذن!».

انبعث صوت السيدة موت من الراديو.

قلت لها: «اسمعي عزيزتي. أنا أعمل على القضية الآن. أنا في نوبة مراقبة».

«مراقبة من؟».

«أحد معارف سيلين، الأمر كله متصل ببعضه».

«أنجز مهامك إذن. أين سيلين؟».

«في الحمام، مع خَصيّ يزن مائتي كيلوغرام».

«ماذا يفعل هناك؟».

«أدعه يبرد».

«لا أريد أن يلحق به أذى، إنه لي».

«لن أؤذيه يا صغيرتي، أقسم بشرفي!».

«أحياناً يا بيلين أظنك مختلاً».

«**انتهى الحوار، حوّل**» صرخت وأطفأت الراديو بضربة من يدي.

ثم جلست بلا حراك أحدق في المرسيدس الحمراء وأفكّر في سيندي. كان بحوزتي كاميرتي الاحتياطية. تآكلتني الرغبة في التحرك. خطر لي أن أتسلل إلى المنزل لعلني أقع على شيء ما. قد أستمع لإحدى محادثاتها الهاتفية. قد أتعثّر في مفتاح لغز ما. بالطبع الأمر خطير. الآن في وضح النهار. لكنني متعطش لخطر يجعل أذنيّ تنتصبان وفتحة شرجي تتغضّن وتنكمش. المرء يعيش مرة واحدة فقط.. أليس كذلك؟ حسناً، ماعدا أليعازر[1]. الأحمق المسكين، اضطر للموت مرتين. لكن أنا نِكي بيلين. المرء يركب أرجوحة المرح مرة واحدة فقط. الحياة لمن يجرؤ.

ترجلت من سيارتي ومعي الكاميرا، والحقيبة كتمويه. عدّلت قبعتي الديربي مائلة ناحية عيني اليسرى وتحرّكت نحو المنزل. مؤشري الداخلي عند أقصى درجات الانتباه. شيء ما يجري في هذا المنزل. شعرت به بقوة حتى إنني عضضت لساني من الإثارة. بصقت الدم وتحركت نحو باب المنزل. مرة أخرى، لم يكن في ذلك مشكلة. كنت داخل المنزل خلال ٤٧ ثانية.

---

(١) الشخص الذي أعاده المسيح إلى الحياة بعد موته.

سرت في الردهة وأذناي منتصبتان. بدأت أحس أنني أسمع أصواتاً. سمعتُ بالفعل صوتين. صوت رجل وصوت امرأة. توقّفت أسفل الدَرَج. نعم الأصوات أتت من الطابق الأعلى. صعدت الدرج ببطء. الصوتان يتّضحان. ميّزت صوت سيندي. واصلتُ التحرّك.. توقفت عند الباب، كان من الواضح أنه باب حجرة نوم. اقتربت أكثر.

سمعت سيندي تضحك قائلة: «ماذا تظن نفسك فاعلاً بهذا الشيء؟».

«احزري يا صغيرتي! لقد انتظرتُ طويلاً!».

«لقد جئت للمكان المناسب أيها الفتى الكبير!».

«سأمتطيكِ إلى الجحيم ذهاباً وإياباً، يا حلوة!».

«أوه. حقاً؟».

ـ «حقاً أيتها القحبة!».

سمعت سيندي تضحك مرة أخرى. ثم هدأت الأصوات. ساد الهدوء لبرهة. ثم بدأت الضجة. أنفاس ثقيلة وخبط خفيف وصرير نوابض الفراش. ثم صوت سيندي: «أوه. أوه. يا إلهي!».

وضعت الحقيبة على الأرض، شغّلت الكاميرا، وركلت الباب ففتحته صارخاً: **«لقد دققت مؤخرتك!»**.

استدار الرجل وهو على وضعه صارخاً **«ماذا؟»**. أخفضت سيندي ساقيها وصرخت هي الأخرى.

قفز الرجل واقفاً ليواجهني. ابن قحبة سمين ذو مظهر بشع. صاح سائلاً: **«ما هذا بحق الزنا؟»**.

كان ذلك جاك باس. بحق المسيح. كان جاك باس!

درت على عقبيّ وركضت نازلاً عن الدرج وأنا أصيح: «يا للخراء المقدّس!».

ركضت نحو باب المنزل. فتحته وأنا أدفعه، ورأيت جاك باس بطرف العين يقف هناك، بيضتاه متدلّيتان، وفي يده شيء ما. مسدس. أطلق النار. أدارت الرصاصة قبعتي الديربي حول رأسي. أطلق مرة أخرى. شعرت بالموت يمرق بجوار أذني اليمنى. ثم ركضت بسرعة على الرصيف. اندفعت مجتازاً الشارع باتجاه سيارتي. فات الأوان، لمحت شيئاً ما قادماً: عجوزاً يقود دراجته وهو يأكل تفاحة. اصطدمت به وتركته يتلوّى بين عجلَتَي دراجته وهما تدوران حوله، على الأسفلت.

كنت في الخنفساء في لمح البصر. ابتعدت عن الرصيف وقد دوّى صوت صرير للإطارات. نهض العجوز من على الأسفلت ببطء. انحرفت أتفاداه، قفزت أعلى الرصيف ثم مررت كاللهب بمنزل جاك باس. كان يقف عند المدخل، ما زالت بيضتاه عاريتين وأطلق ثلاث رصاصات أخرى. نفذت واحدة في القرد المعلّق بمرآة سيارتي مباشرة، ومرّت الثانية بيني وبين لا شيء بالتحديد، واخترقت الأخيرة مسند المقعد الأمامي، المجاور لمقعد السائق، فاصطدمت بصندوق التابلوه وثقبته.

ابتعدت من هناك. قدت على نحو متعرّج من جهة إلى أخرى عبر عدة شوارع جانبية إلى أن وجدت شارعاً رئيسياً فاندمجت في حركة المرور. كان يوماً لوس أنجلوسياً نموذجياً: غيوم، نصف شمس ولا أمطار لأشهر.

توقفت أمام أحد مطاعم ماكدونالدز وطلبت بطاطس محمرة كبيرة وقهوة وساندوتش دجاج كبيراً.

١٧

عدت إلى المكتب. كان سيلين وبروستر قد هربا من الحمام وتركا بابه مهشماً. أعدت مكتبي إلى مكانه. استغرقني الأمر ١٥ دقيقة أخرى.

جلست أحاول تجميع كل القطع معاً.

الجميع الآن يلاحقونني: سيلين، بروستر، سيندي، جاك باس، والسيدة موت. وربما بارتون أيضاً. لم أكن واثقاً من هوية عملائي، وما إذا كانوا حقيقيين حتى.

قد يتم القبض عليّ لأيّ من الجرائم العديدة التي ارتكبتها مؤخراً. أو يأتي أحدهم ليقضي عليّ. من الخطر التواجد في المكتب الآن. تحقّقت من وجود مسدسي في درج المكتب. ما زال هناك. صغيري العزيز. حسناً، لن يُخرجوني من مكتبي. محققٌ بلا مكتبٍ ليس بمحقّق.

ولم أكن أعرف ما إذا كان سيلين هو سيلين، ولم أعثر على العصفور الأحمر. لم يكن شيء يتقدّم.

كان يوماً طويلاً. رفعت قدميَّ على المكتب وأسندت ظهري إلى المقعد وأغمضت عينيّ. سرعان ما غفوت.

في الحلم جلست في حانة رخيصة. شربت ويسكي دوبل مع الصودا. كنت الوحيد هناك ما عدا الساقي الذي بدا غير مكترث. وقف عند الطرف الآخر من البار وقرأ ذا ناشيونال إنكويرر. ثم دخل شخص

ما قذر وخليع، كان بحاجة لأن يحلق ذقنه وشعره ويستحم، يرتدي معطف مطر أصفر قذراً يصل إلى طرف حذائه وأمكنكم أن تروا من تحته تيشيرت أبيض وربطة عنق برتقالية بالية. تحرّك نحوي كريح نتنة. جلس على كرسي البار المجاور لي. رشفت جرعة من كأسي. رفع الساقي نظره عن الجريدة. تقابلت نظراتنا. قال: «أنا جائع لدرجة إنني قد آكل حصاناً».

قلت له: «ليتك تأكل بعضاً من هؤلاء الذين راهنتُ عليهم».

لا عجب أن بدا غير مكترث. كان نحيفاً جداً إلى حدّ بدا معه كقضيب السكة الحديد. وجنتاه غائرتان، وجلده كالورقة. أشحت ببصري بعيداً عنه.

قال الرجل الآخر الجالس على الكرسي بجواري: «بسسست..».

تجاهلته. عدت أنظر للساقي وقلت: «اسمع، سأنهي شرابي ويمكنك أن تغلق المكان وتذهب لأي مكان لتأكل شيئاً».

قال: «شكراً. يجب أن يظل المكان مفتوحاً. سأكون بخير. سأفكر في شيء ما».

كرر الجالس بجواري نداءه: «بسسسست..».

فقلت له: «حلّ عن أذني يا رجل».

«لدي معلومات».

«لست بحاجة لها. أنا أقرأ الصحف».

«إنها معلومات لا تذكرها الصحف».

«مثل ماذا؟».

«العصفور الأحمر».

صحت: «هيه. آيها الساقي.. كأس لهذا السيد المحترم هنا! آته برام وكولا!».

انشغل الساقي بإعداد الكأس. سألني الرجل: «أتقيـم في شاطئ ريدوندو؟».

«بل شرق هوليوود».

«أعرف رجلاً يشبهك تماماً يقيم في شاطئ ريدوندو».

«حقاً؟».

«نعم».

حضر كأسه. أفرغه في فمه دفعة واحدة، ثم قال: «لديّ أخ كان يقيم في جليندال لكنه انتحر».

«أيشبهك؟».

«أها».

«لا عجب إذن».

«لدي أخت تقيم في بيربانك».

«إنه الهراء».

«هذا ليس هراء».

«أريد أن أسمع شيئاً عن العصفور الأحمر».

«بالطبع. سأضعه في يدك مباشرة».

«حسناً؟».

«أنا عطشان..».

صحت: «أيها الساقي! كأس رام بالكولا أخرى للسيد المحترم».

انتظر الرجل كأسه. وصلت. أفرغها ووضعها على البار بعنف ثم استدار ونظر إليّ بعينيه الخرزيتين الزائغتين الفارغتين وقال: «العصفور الأحمر معي الآن».

«ماذا؟».

«إنه معي في جيبي».

«عظيم. لنره إذن».

عبث بيده في أحد جيوبه. ظل يعبث قائلاً: «مممم... يبدو أنني لا أستطيع أن أجده..».

«أيها الحثالة! أتنصب عليّ! سأشجّ رأسك!».

«كان معي هنا..».

«سأكسر ضلوعك أيها المأفون!».

«انتظر... انتظر... ها هو شيء ما... نعم. في جيبي الآخر.. كنت أبحث في الجيب الخطأ..».

«حقاً؟».

«حقاً.. انظر.. ها هو.. العصفور الأحمر!».

أخرجه من جيبه ووضعه على البار. نظرت.. كانت حمامة ميتة. قلت: «هذه حمامة ميتة».

قال: «لا.. هذا هو العصفور الأحمر».

وضعت الحساب على البار. ثم نهضت وأمسكت به من ياقة معطفه القذر. ودفعته نحو باب الحانة، فتحت الباب وألقيت به في الشارع. ثم استدرت لأقفل الباب. ورأيت الساقي. كان قد أمسك بالحمامة وأخذ يلتهمها. رآني فغمز لي وفمه مليء بالريش والدم..

ثم رن جرس الهاتف واستيقظت.

١٨

التقطت سماعة الهاتف: «وكالة المحقق الخاص بيلين..».

«أنا جروفرز، هال جروفرز.. أنا بحاجة إلى مساعدتك. الشرطة تسخر مني».

«ما الأمر يا مستر جروفرز؟».

«ثمة كائن فضائي يطاردني».

«هه.. مستر جروفرز. ليس لديَّ وقت للمزاح الآن..».

«أترى؟ الجميع يسخرون مني!».

«عذراً يا جروفرز لكن يجب أن تعرف أجري قبل أن تقول المزيد».

«كم أجرك؟».

«ستة دولارات في الساعة».

«هذه لا تبدو لي مشكلة».

«لا شيكات من دون رصيد وإلا سيجمعون بقايا دماغك في كيس. مفهوم؟».

«مشكلتي ليست النقود. مشكلتي هي تلك المرأة».

«أي امرأة يا جروفرز؟».

«اللعنة.. المرأة التي أتحدث عنها. الكائن الفضائي».

«الكائن الفضائي أنثى؟».

«نعم، نعم».

«كيف عرفت هذا؟».

«هي أخبرتني».

«أتصدقها؟».

«طبعاً، لقد رأيتها تقوم بحركات».

«مثل ماذا؟».

«حسناً، كأن تحلّق في السقف، وحركات من هذا القبيل..».

«أتشرب الخمر يا جروفرز؟».

«بالطبع.. وماذا عنك أنت؟».

«لا أستغني عنها.. الآن.. اسمع يا جروفرز، قبل أن نتمادى في هذا الأمر يجب أن تأتي إليّ هنا بنفسك. الطابق الثالث بمبنى آجاكس. اطرق الباب قبل أن تدخل».

«طرقٌ خاص؟».

«نعم نغمة «شعر وذقن»[1]، ست ضربات، سأعرف حينها أنه أنت..».

«وهو كذلك مستر بيلين..».

قتلت أربع ذبابات وأنا أنتظره. اللعنة، إن الموت في كل مكان. البشر، الطيور، الوحوش، الزواحف، القوارض، الحشرات، الأسماك، لا ينجو منه أحد. حرت في الأمر. اكتأبت. أتعرفون.. أنا أنظر

(١) النغمة الشهيرة التي تتردد بعد سرد النكات، تسمّى shave-and-a-haircut.

إلى الفتى البائع في السوبر ماركت وهو يعبئ لي مشترياتي، فأراه يعبئ نفسه في قبره مع ورق الحمّام والبيرة وصدور الدجاج.

ثم جاء الطرق السرّي على الباب فقلت: «تفضل يا مستر جروفرز».

دخل. ضئيل نوعاً ما، أربع أقدام طولاً، ٨٠ كيلوغراماً، ٣٨ عاماً، عينان خضراوان رماديتان بطرفة لا إرادية في الجفن الأيسر، شارب أصفر صغير قميء، نفس لون الشعر الناحل أعلى رأسه المستدير للغاية. تبرز أصابع قدمه من حذائه. جلس.

جلسنا وتبادلنا النظر إلى بعضنا. هذا كل ما فعلناه خلال خمس دقائق كاملة. ثار حنقي أخيراً فقلت له: «جروفرز لمَ لا تقول شيئاً؟».

«كنت أنتظر أن تتحدث أنت أولاً».

«لماذا؟».

«لا أعرف».

أسندت ظهري إلى الكرسي، أشعلت سيجاراً، وضعت قدمي على الطاولة، سحبت نفساً، أطلقت الدخان في دائرة كاملة، وقلت: «يا جروفرز، هذه المرأة، هذه الـ... كائنة الفضائية.. أخبرني المزيد عنها».

«إنها تدعو نفسها جيني نيترو».

«أخبرني المزيد يا مستر جروفرز».

«ألن تضحك مني مثلما فعل رجال الشرطة؟».

«لا أحد يضحك مثل رجال الشرطة يا مستر جروفرز».

«حسناً، إنها إحدى فاتنات الفضاء الخارجي».

«ولماذا تريد التخلص من إحدى فاتنات الفضاء الخارجي؟».

«أخاف منها. إنها تسيطر على عقلي».

«كيف؟».

«كأن أفعل أي شيء تأمرني به».

«لنفرض إنها أمرتك أن تأكل خراءك، كنت ستفعل؟».

«أظن أنني سأفعل».

«يا جروفرز، أنت مهووس بالجنس معها فقط.. كرجال كثيرين».

«لا، إنها الألاعيب التي تلعبها. مخيفة».

«لقد رأيت كل الألاعيب يا جروفرز، ثم إن بعضها..».

«لم ترها تظهر من حيث لا تدري، ولم ترها تختفي عبر السقف».

«أضجرتني يا جروفرز، هذا كله حزمة هراء».

«لا. منو صحيح مستر بيلين».

«منو؟ من أين جئت بحق الجحيم يا مستر جروفرز، إنك تتحدث كرجل من البراري».

«وأنت لا تبدو كمحقق خاص يا مستر بيلين».

«ها؟ ماذا؟ ماذا أبدو إذن؟».

«حسناً.. لنرَ.. دعني أفكر..».

«لا تطل التفكير اللعين فهذا يكلفك ٦ دولارات في الساعة».

«حسناً.. تبدو ك.. كسبّاك».

«سبّاك؟ سبّاك.. أوكي. ومَن بوسعه الاستغناء عن السبّاك؟ أتعرف شخصاً أهم من السبّاك؟».

«الرئيس».

«الرئيس؟ ها أنت تخطئ! خطأ مرة أخرى! كلما فتحت فمك تفوّهت بشيء خطأ»!

«أنا لست على خطأ».

«أترى.. لقد أخطأت مرة أخرى!».

أطفأت سيجاري وأشعلت سيجارة. كان الرجل محض هراء. لكنه زبون. تفرّست فيه طويلاً. كان النظر إليه شاقاً. توقفت عن النظر إليه. نظرت إلى أذنه اليسرى وسألته: «أوكي.. ما الذي تريدني أن أفعله؟ مع هذه المخلوقة الفضائية؟ هذه الجيني نيترو؟».

«تخلّص منها».

«أنا لست قاتلاً مأجوراً يا جروفرز».

«أخرجها فقط من حياتي بطريقة أو بأخرى».

«هل مارست الجنس؟».

«أتقصد اليوم؟».

«أقصد معها».

«لا».

«ألديك عنوان تلك الدمية؟ رقم هاتف؟ عمل؟ وشم؟ هواية؟ عادات خاصة؟».

«الأخيرة فقط..».

«مثل ماذا؟».

«إنها مثلاً تحلّق في السقف وأشياء من هذا القبيل».

«جروفرز أنت مخبول.. أنت لست بحاجة إليّ.. أنت بحاجة إلى طبيب نفسي».

«ذهبت إلى عدة أطباء نفسيين».

«وماذا قالوا؟».

«لا شيء. لكن أجرهم أكثر من ٦ دولارات في الساعة».

«كم أجرهم؟».

«مائة وخمسة وسبعون دولاراً في الساعة».

«هذا يثبت أنك مخبول».

«لماذا؟».

«لا يدفع هذا المبلغ إلا شخص مخبول».

ثم جلسنا ينظر أحدنا إلى الآخر في صمت. بدا المشهد غبياً جداً. حاولت أن أفكّر. صدغاي آلماني.

حينها انفتح الباب على مصراعيه ودخلت تلك المرأة.

الآن، كل ما يمكنني قوله إن ثمة ملايين النساء على الأرض، صحيح؟ بعضهن لا بأس بهن وأغلبهن جميلات، لكن الطبيعة تأتي بمعجزة من حين لآخر فتجمع بين امرأة خاصة وامرأة لا نظير لها. أعني أنك تنظر لكنك لا تصدق. كلها حركة متماوجة متكاملة، زئبقية، أفعوانية، ترى كاحلاً، ترى مرفقاً، صدراً، رقبةً، كل شيء يذوب في كيان هائل مثير بتينك العينين الضاحكتين الرائعتين، والفم ملويّ إلى أسفل قليلاً والشفتين كأنهما على وشك الانفجار بالضحك من عجزك. وهؤلاء يعرفن كيف يلبسن، وشعورهنّ الطويلة تحرق الهواء. اللعنة.. هذا كثير.

نهض جروفرز قائلاً: «جيني!».

تسللت إلى الغرفة كراقصة تعرّ على زلاّجتين وتوقفت أمامنا فيما

الجدران ترتجّ. نظرت إلى جروفرز وسألته: «هال.. ماذا تفعل عند محقق الدرجة الثانية هذا؟».

قلت لها: «هيه.. احترمي نفسك أيتها القحبة!».

قال جروفرز: «حسناً يا جيني، لديّ مشكلة صغيرة وفكرت في طلب المساعدة لحلّها».

«مساعدة؟ مِمَّن؟».

«لا أستطيع البوح. لقد أكلت القطة لساني».

«هال. ليست لديك مشكلة طالما أنا معك. أستطيع أن أفعل أي شيء أفضل من محقّق الدرجة الثانية هذا».

نهضت. كنت واقفاً على كل حال. وقلت: «أحقاً أيتها المومس؟.. لنر إن كان لديك انتصاب بطول ٧ بوصات».

«خنزير عنصري!».

«أترين. أمسكت بك. أمسكت بك!».

تخبّطت في الغرفة قليلاً، فأصابتنا جميعاً بالجنون. ثم دارت حولنا ونظرت لجروفرز قائلة: «تعال هنا أيها الكلب. ازحف على الأرض نحوي! الآن!».

صحت: «لا تفعل هال».

«ها؟»، قال وهو يزحف على الأرض نحو جيني. اقترب منها شيئاً فشيئاً، وصل إلى قدميها وتوقف. قالت له: «الآن العق طرف حذائي بلسانك!».

أطاع جروفرز. لعق. ظل يلعق. نظرت جيني إليّ وابتسمت بغرور. غرور حقيقي لم أستطع تحمّله. قفزت صارخاً: «أيتها العاهرة القحبة».

ثم فككت إبزيم حزامي وسحبته من بنطالي ودرت حول المكتب والحزام في يدي مثنياً نصفين. «أيتها العاهرة القحبة.. سأدق مؤخرتك!» واندفعت نحوها. ارتعش ما تبقى من روحي رعشة نشوة. ألهب ردفاها اللامعقولان النار في خيالي.

قالت وهي تطرقع بأصبعيها: «ارمِ هذا الحزام أيها المغفل».

سقط الحزام من يدي ووقفت جامداً.

نظرت إلى جروفرز وقالت: «هيا أيها الفتى السخيف، قف على قدميك، سنغادر هذا المكان الغبي».

«نعم حبيبتي».

نهض جروفرز وتبعها إلى الباب، انفتح الباب وانغلق واختفى الاثنان. كنت ما زلت غير قادر على الحركة. لا بدّ أن بحوزة تلك العاهرة مسدس ليزر أو شيئاً من هذا القبيل. وما زلت جامداً. يبدو أنني أسأت اختيار مهنتي. بعد مرور نحو عشرين دقيقة شعرت بوخز خفيف في جسمي كله. ثم وجدت أنني قادر على تحريك حاجبيّ. ثم فمي. فقلت: «اللعنة».

ثم أخذت أعضائي في التحرك تدريجياً. أخيراً تحركت خطوة. خطوتين. ثم خطوات أخرى، نحو مكتبي. درت حوله. فتحت دُرجاً. وجدت زجاجة فودكا. فتحت غطاءها. رشفت جرعة جيدة وقررت أن آخذ اليوم إجازة وغداً أبدأ كل شيء مرة أخرى.

١٩

في اليوم التالي، عدت إلى المكتب. كنت مرتبكاً. لا أعرف من هم عملائي ولا أعرف شيئاً البتة بحق الجحيم. قررت أن أفعل شيئاً في هذا الشأن. لديّ رقم هاتف جاك باس في عمله. اتصلت به.

قال: «مرحباً».

«باس. هذا بيلين».

«يا ابن العاهرة».

«على مهلك يا جاك، أنا معي الحزام الأسود».

«ستحتاجه إن اقتحمت عليّ إحدى جلساتي الغرامية مرة أخرى».

«جاك. أنا لم أرَ سوى مؤخرة سمينة تعلو وتهبط. لم أعرف أنه أنت حتى أدرت رأسك».

«ومن كنت تظنني؟ أتظن أن رجلاً آخر سيضاجعها في منزلي؟».

«حدث كثيراً».

«ماذا؟».

«لا أقصد في منزلك يا جاك».

«أين إذن؟».

«لا يهم».

«ما الذي لا يهم؟».

«أقصد أن الأمر ليس له صلة بقضيتك.. دعنا نتحدث بجديّة».

«ماذا؟».

«أتريد مني العمل على قضيتك أم لا؟».

«أنت لم تتوصل إلى أي شيء، سوى أنك صوّرت مؤخرتي بالفيديو».

«أنا غارق في قضيتك يا جاك».

«كيف؟».

«لديّ خيط».

«ماذا؟».

«وصلة».

«خيط.. وصلة.. عم تتحدث؟».

«يمكنني أن أوقع بها مع هذا الرجل. أنا أعرفه. إنه رجل غامض، وهما يخططان لشيء ما سيئ».

«هل أمسكت بهما معاً؟».

«ليس بعد».

«ولِمَ لا؟».

«أنا أتقدم ببطء. سأدعهما يقعان في الفخ بنفسيهما».

«ألا يمكنك الإيقاع بهما الآن؟».

«يجب أن أنتظر إلى أن يقرع هو الناقوس».

«ماذا؟».

«يجب أن أوقع بهما وهما يرتكبان الجرم».

«لست متأكداً من أنك تعرف ما تفعله يا بيلين».

«أنا أعرف ما أفعله جيداً. سأوقع به ما إن يقرع الناقوس».

«ليتك لا تتحدث بهذه الطريقة».

«العالم ليس روضة أطفال يا جاك. أنا أحاول سبر غور هذه القضية».

«سبر غور؟».

«أنا أريد أن أدق مؤخرتها. أنت تريدني أن أدق مؤخرتها، أليس كذلك؟».

«أريدك أن تحضر لي دليل إثبات».

«دليل الإثبات في جيبي يا باس».

«هل اقتربت من شيء يا بيلين؟».

«بإمكاني شم رائحته، استنشاقه. أنا على وشك الانقضاض. أنا أعرف الرجل. إنه رجل فرنسي. وأنت تعرف الرجال الفرنسيين، أليس كذلك؟».

«لا. ماذا عن الرجال الفرنسيين؟».

«إن كنت لا تعرف يا باس فليس بإمكاني إخبارك. ليس لديّ اليوم بطوله. الآن هل تريد مني متابعة هذه القضية اللعينة أم لا؟».

«تقول إنك تقترب من شيء؟».

«أنا على وشك الانقضاض عليهما».

«ماذا؟».

«أتريدني أم لا يا باس؟ سأعد حتى خمسة. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة..».

«وهو كذلك، وهو كذلك. تابع العمل على القضية».

«حسناً جاك، الآن مسألة صغيرة..».

«ماذا؟».

«سأحتاج مبلغاً مقدّماً مقابل عمل شهر».

«شهر؟ ظننتك على وشك الانقضاض».

«يجب أن أنصب الفخ، أن أعدّه لهما جيداً. يجب أن أتأكد من كل شيء. حين يقرع هذا الناقوس..».

«وهو كذلك، هو كذلك، الشيك في طريقه إليك!».

ثم أغلق الخط في وجهي. يتصرَّف كرجل عاشق.. المغفَّل....

ثم اتصلت بجروفرز. كان قد أعطاني رقم هاتف مكتبه. ثلاث رنّات ثم رفع السماعة قائلاً:

«مرحباً. حانوتي سيلفر هافن».

«يا يسوع».

«ماذا؟».

«جروفرز، أتلعب بالجثث؟».

«ماذا؟».

«جثث. جثث. هذا نِك بيلين».

«ماذا تريد يا مستر بيلين؟».

ـ «أنا أعمل على قضية كائنتك الفضائية يا مستر جروفرز».

«نعم. أتذكر».

«قل لي يا هال، لماذا تقوم بعملك هذا؟».

«ماذا تقصد؟».

«اللعب بالموتى. لماذا؟ لماذا؟».

«إنه عملي. على الرجل أن يعمل لكسب عيشه».

«لكن أن تلعب بالجثث؟ هذا غريب نوعاً ما. هذا مقرف. هل تشفط منها الدم؟ ماذا تفعل بالدم الذي تشفطه منها؟».

«لدي عامل يقوم بهذا، بيلي فرينش».

«ضعه على الهاتف، أريد أن أتحدث معه».

«لقد خرج ليتناول الغداء».

«أتقصد إنه يأكل؟».

«نعم».

سكتّ. سحبت نفساً، أطلقته. ثم قلت: «اسمع يا جروفرز، أتريدني أن أتابع هذه القضية؟».

«أتقصد جيني نيترو؟».

«بالطبع.. ألديك فاتنة فضائية غيرها؟».

«لا».

«حسناً. أتريدني أن أزيحها عن ظهرك؟».

«بالطبع. لكن أتظن إن بمقدروك هذا؟ يبدو لي إنك صُعقت في المرة الوحيدة التي قابلتها فيها».

«جروفرز، حتى تيد ويليام يتجمد مصعوقاً من حين لآخر. في النهاية سأقذف بهذه العاهرة بعيداً ولن تراها بعد ذلك أبداً».

«لا أظنها عاهرة يا مستر بيلين».

«إنه تعبير دارج. لا أقصد إهانة دميتك».

«أتظن أن بمقدروك فعل شيء معها؟».

«حتى ونحن نتحدث يا جروفرز أنا أعمل على وصلة، خيط».

«مثل ماذا؟».

«لا أستطيع أن أخبرك بالكثير. لكن حقيقة أنك تلعب بالجثث وأنها كائن فضائيّ، تعتبر خيطاً، وصلة».

«ماذا تقصد يا مستر بيلين؟».

«لا أستطيع أن أخبرك بالكثير، لكنني تحدثت بالأمر مع متخصِّص في هذه الأمور، ألّف كتاباً عن الكائنات الفضائية وقد طلب مني معلومات إضافية عنك».

«وهو كذلك، ما الذي تريد معرفته؟».

«لحظة. قبل أن أضيع أي وقت آخر في هذه القضية، سأحتاج إلى شيك آخر. لأسبوعين مقدماً».

«أتظن أن بوسعك فعل شيء؟».

«اللعنة يا رجل، لقد أخبرتك لتوي، أنا غارق في هذه القضية!».

«وهو كذلك يا مستر بيلين سأرسل إليك الشيك بالبريد اليوم. لأسبوعين».

«أنت رجل عاقل يا مستر جروفرز».

«نعم. أوه مستر بيلين، ها قد عاد بيلي فرينش من غداءه. أتريد أن تتحدث معه؟».

«لا. لكن أسأله ماذا تناول على الغداء؟».

«دقيقة واحدة..».

انتظرت. ثم عاد جروفرز لي: «يقول إنه تناول لحم بقر مشوياً وبطاطس مهروسة».

«هذا مقرف!».

«ماذا؟».

«يجب أن أذهب الآن يا مستر جروفرز».

«لكنني ظننت أنك تريد المزيد من المعلومات عني».

«سأرسل إليك استمارة استجواب».

أنهيت الاتصال، رفعت قدميَّ على المكتب. أعدت تجميع القطع معاً مرة أخرى. كنت هناك. نِك بيلين، المحقق. لكن ما زال عليّ حل مسألة العصفور الأحمر، ثم هناك سيلين والسيدة موت، دائماً السيدة موت.

الآن هناك عاهرة.

أقصد بم يمكنكم أن تدعوها غير عاهرة؟

٢٠

كان عليّ أن أفكر في الأمر. أن أفكر في كل شيء. كل شيء متصل بشكل أو بآخر: الفضاء، الموت، العصفور، الجثث، سيلين، سيندي، باس. لكنني لم أستطع تجميع القطع معاً بدقة. ليس بعد. بدأ صدغاي يؤلماني. يجب أن أخرج من هنا.

ليس لدى جدران المكتب إجابات. أتحوَّل بمرور الوقت إلى غبي، بدأت أتخيلني في الفراش مع السيدة موت وسيندي وجيني نيترو، جميعهنّ في الوقت نفسه. هذا كثير جداً. وضعت قبَّعتي الديربي وخرجت.

وجدتني في ميدان السباق. هوليوود بارك. لم تكن هناك خيول. كان السباق يُبَثّ من أوك تري، والمراهنات تجري كالمعتاد.

صعدت بالمصعد. اصطدم الرجل الذي يقف بجانبي بأحد جيوب بنطالي قائلاً: «أوه. معذرة. آسف».

دائماً أحمل محفظتي في جيب صدري الأيسر. أنت تتعلّم. بعد وقت تتعلّم.

مررت بنادي القمار. نظرت بالداخل. ثلة من الرجال العجائز. لديهم نقود. كيف فعلوا هذا؟ وكم تحتاج؟ وماذا يعني كل هذا؟ كلنا نموت

Twitter: @ketab_n

مفلسين وأغلبنا يعيش هكذا أيضاً. الحياة لعبة مُنهكة. مجرد انتعالك الحذاء صباحاً يعد انتصاراً.

دفعت الباب ودخلت، فوجدت رجل البريد يقف هناك يحتسي قهوة. سرت إليه وسألته: «من سمح لك بالدخول إلى هنا بحق الجحيم؟».

بدا وجهه مشوّهاً تماماً، ومتورّماً. قال: «بيلين، سأقتلك».

«شرب القهوة ليس صحّياً لك. ستبقيك مستيقظاً طوال الليل».

«سأقضي عليك يا بيلين. إن أيامك في الحياة معدودة».

«من الذي سيفوز؟».

«أذنا الكلب».

مددت يدي له بدولارين: «هاك. حظاً سعيداً».

«هييه. شكراً يا بيلين!».

«انس الأمر». قلت وأنا أنصرف.

شيء ما يلاحق المرء دائماً. شيء ما لا يستسلم أبداً. لا يستريح، أبداً.

ذهبت إلى الكافتيريا وطلبت كوب قهوة كبير. سألتني النادلة: «من الذي سيفوز يا بيلين؟».

«إن أخبرتك ستقل احتمالات الفوز إلى لا شيء».

قالت: «شكراً أيها المغفل».

سحبتُ بقشيشها عن المنضدة وأعدته إلى جيبي. وجدت مقعداً بجانب الشاشة فجلست وفتحت الراسينج فورم. ثم سمعت صوتاً من

خلفي يقول: «هذان الدولاران لن يخلّصاك مني يا بيلين. لقد انتهى أمرك».

كان رجل البريد. نهضت واستدرت ناحيته: «أعدهما إليّ إذن».

«مستحيل يا رجل».

«سأمزّق أحشاءك!».

ابتسم واقترب مني. شعرت بنصل مطواة في بطني. كان النصل فقط وبقيتها مختفية بين أصابعه. قال: «لديّ هنا ٦ بوصات أحب بشدة أن أغرزها في كرشك الضخم الغبي!».

«لماذا لا تعمل اليوم؟ من الذي يوزع البريد بحق الجحيم؟».

«أخرس. أنا أحاول أن أقرر هل أقتلك أم لا».

«لدي هنا عشرة دولارات لك يا رفيق لتراهن بها على أذني الكلب».

«كم؟».

«٢٠ دولاراً».

«كم؟».

شعرت بنصل السكين ينغرز في جلدي، فقلت: «٥٠ دولاراً».

«حسناً، مدَّ يدك إلى محفظتك وأخرج منها ورقة بخمسين وضعها في جيب قميصي».

شعرت بقطرات العرق تسيل خلف أذنيّ. أخرجت المحفظة من جيب صدري الأيسر. سحبت منها ورقة بخمسين دولاراً ودسستها في جيبه. شعرت بنصل السكين يبتعد.

«الآن، اجلس مكانك وافتح *الفورم* واقرأها».

فعلت كما قال، شعرت بنصل السكين في قفاي وهو يقول: «أنت محظوظ». ثم ابتعد.

جلست هناك وأنهيت قهوتي. ثم نهضت وخرجت. نزلت عبر المصعد، وصلت إلى ساحة انتظار السيارات، ركبت سيارتي وابتعدت من هناك. بعض الأيام لا تكون أيامك، ببساطة. قدت طوال الطريق إلى هوليوود. ركنت السيارة في مكان أمام إحدى دور العرض. اشتريت بعض الفشار ومشروباً غازيّاً وجلست. بدأ الفيلم لكنني لم أتابعه. جلست ألوك الفشار وامتصّ المشروب الغازي فقط وأتساءل هل فاز أذن الكلب؟

٢١

لم أستطع النوم تلك الليلة. شربت بيرة، شربت نبيذاً، شربت فودكا، كلها بلا جدوى.

لم أحل شيئاً. كل قضاياي في طور السبات. قال لي أبي إنني سأخيب. كان هو أيضاً خائباً. بذرة سيئة.

شغّلت جهاز التليفزيون. لديّ واحد في غرفة النوم. ظهرت شابة تقول لي إنها قد تخادثني وتجعلني أشعر بحال أفضل. كل ما أحتاجه هو بطاقة ائتمان. قررت ألا أسمعها، اختفى وجه الشابة عن الشاشة وظهر بدلاً منه وجه جيني نيترو. قالت: «بيلين، لا أريدك أن تحشر أنفك في شؤوني».

«ماذا؟».

كررت الجملة، فأطفأت التليفزيون. صببت كأس فودكا أخرى، من دون إضافات. أطفأت الضوء وجلست في الفراش في الظلام أشرب فودكا.

حينها سمعت أزيزاً عالياً كأن سرب نحل يخرج من خلية نقلوها. ثم ومض ضوء بنفسجي ورأيت جيني نيترو تقف في غرفتي. ذُعرت كمن يطارده شيطان. قالت: «هل أخفتك يا بيلين؟».

أجبتها: «إطلاقا. ألا تعلمين شيئاً عن آداب السلوك؟ ألا تطرقين الباب قبل أن تدخلي؟».

جالت بنظرها في الغرفة وقالت: «أنت بحاجة إلى خادمة. هذا المكان قذر».

أفرغت كأسي وألقيت به جانباً وأجبتها: «لا تهتمي بهذا، سأدق مؤخرتك».

«كمحقق خاص، ينقصك ثلاثة أشياء».

«وهي؟».

«القيادة، والتوجه، والتحرّي».

«حقاً؟ حسناً، إنني أفهم لعبتك يا حلوة».

«حقاً؟».

«أنتِ تتملّقين جروفرز لأنه حانوتي ولأنك تحتاجين الجثث التي لديه لاستضافة أصدقائك الفضائيين».

جلست على مقعد، وجدت إحدى سجائري، أشعلتها وضحكت سائلة: «هل أبدو لك كجثة؟».

«ليس تماماً».

«نحن بإمكاننا خلق أجساد خاصة بنا. انظر!».

علا صوت الأزيز وومض الضوء البنفسجي مرة أخرى وظهرت جيني نيترو أخرى في أحد أركان الغرفة، تقف بجانب أصيص الزرع، قالت: «مرحباً يا بيلين». ثم قالت جيني نيترو التي تجلس على الكرسي: «مرحباً يا بيلين».

«هيه. أيمكنك أن تكوني في جسدين في نفس الوقت؟».

قالت الجالسة على الكرسي: «لا». ثم أضافت الواقفة بجوار أصيص الزرع: «لكننا يمكننا أن نقفز من جسد لآخر».

نهضت من فراشي لألتقط كأسي وأصب المزيد من الفودكا. قالت إحداهما: «أتنام بسروالك القصير؟»، ثم قالت الأخرى: «شيء مقرف».

عدت إلى فراشي بكأسي وجلست مسنداً ظهري إلى وسادة.

علا صوت الأزيز وومض الضوء البنفسجي مرة أخرى واختفت جيني نيترو الواقفة بجوار أصيص الزرع. نظرت إلى الجالسة على الكرسي وقلت: «انظري، لقد وكّلني جروفرز لأزيحك عن مؤخرته وهذا بالضبط ما أنوي فعله».

«أنت تتحدث بنبرة عالية على رجل تقترب مواهبه من الصفر».

«حقاً؟ حسناً، لقد حللت قضايا أكثر تعقيداً من قضيتك!».

«حقاً؟ احكِ لي عن واحدة منها».

«كل ملفاتي الماضية سرّية».

«سرّية أم ليس لها وجود».

«لا تثيري حنقي يا جيني وإلا...».

«وإلا ماذا؟».

«وإلا..». رفعت كأس الفودكا نحو فمي. فجأة تجمّدت يدي على بعد بوصتين من فمي. لم أستطع التحرك.

ـ «أنت درجة ثالثة يا بيلين. لا تعبث معي. وأنا لطيفة معك حتى الآن. أنت محظوظ».

محظوظ؟ هذه ثاني مرة أسمع فيها هذا الوصف خلال اثنتي عشرة ساعة.

علا الأزيز وومض الضوء البنفسجي واختفت جيني نيترو.

جلست في الفراش لا أستطيع الحركة، ما زالت الكأس على بعد بوصتين من فمي. جلست وانتظرت. كان لديّ وقت لأتأمل مستقبلي المهني. لم يكن ثمة الكثير لأفكر فيه. لعلني اخترت المهنة الخطأ. لكن الوقت متأخر جداً للبدء في أي شيء آخر.

جلست أنتظر فقط. بعد مرور نحو عشر دقائق شعرت بوخز خفيف في جسدي كله. تمكّنت من تحريك يدي قليلاً. ثم شيئاً فشيئاً استطعت وضع الفودكا في فمي، وإرجاع رأسي إلى الخلف وإفراغ الكأس كلها. ألقيت بالكأس على الأرض، تمددت في الفراش وانتظرت النوم مرة أخرى. سمعت في الخارج صوت طلق ناري فاطمأنّت نفسي أن العالم يسير كالمعتاد. خلال خمس دقائق كنت أغطّ في النوم. كالآخرين.

٢٢

استيقظت مكتئباً. نظرت إلى السقف، إلى الصدوع في السقف. رأيت جاموساً يسحق شيئاً. أظنه أنا. ثم رأيت ثعباناً في فمه أرنب. انثالت أشعة الشمس من بين طيات الستارة ورسمت صليباً معقوفاً على بطني. شعرت بحكة في ثقب البرميل[1]، هل عاودتني البواسير؟ رقبتي تشنجت وكان لفمي مذاق كاللّبن الحامض.

نهضت وذهبت إلى الحمّام. كرهت النظر في تلك المرآة لكنني نظرت. ورأيت اكتئاباً وهزيمة. تجعّدات داكنة ومترهّلة أسفل العينين. عينان صغيرتان خائفتان، عينا فأر داهمه قط متوحّش. بدا لحمي كأنه استسلم، كأنه يكره كونه جزءاً منّي. حاجباي تدلّيا إلى أسفل، كانا ملتويان، كأنهما حاجبا شخص معتوه. شعر حاجبَيْن معتوهة. شيء بشع. بدوت مقزّزاً. ولم أكن على استعداد حتى للتغوّط. كنت مسدوداً كلياً. سرت إلى المرحاض لأتبوّل. سدّدته بشكل مضبوط لكنني بطريقة ما انحرفت ولطّخت الأرض، أعدت التصويب وبوّلت على مقعد المرحاض الذي نسيت أن أرفعه. سحبت بعض ورق التواليت ومسحته. نظفت المقعد. ألقيت بورق التواليت في سلة المهملات وشددت السيفون. سرت إلى النافذة وأطلّيت منها ورأيت خراء قطة على سطح

(١) مصطلح من العامية يعني فتحة الشرج.

البيت المجاور لي. ثم استدرت، وجدت فرشاة أسناني، ضغطت على أنبوب المعجون. خرج معجون كثير. ارتمى بضجر على الفرشاة ثم سقط في الحوض. كان أخضر. بدا كدودة خضراء. غمست أصبعي فيه ووضعت بعضاً منه على الفرشاة وبدأت أنظّف أسناني. الأسنان. يا لها من أشياء لعينة. يجب أن نأكل. وأن نأكل مراراً وتكراراً. كلنا مقرفون، ملعونون بمهامنا الصغيرة المقرفة. نأكل ونضرط ونهرش ونبتسم ونحتفل في الأعياد.

انتهيت من تنظيف أسناني وعدت إلى الفراش. كنت منهك القوى تماماً. كنت دبّوساً برأس. كنت قطعة مشمّع.

قررت أن أظل في الفراش حتى الظهر. لعله حينها سيكون نصف العالم ميتاً وتقلّ صعوبة التعامل معه إلى النصف أيضاً. لعلني إن نهضت مرة أخرى ظهراً سأبدو أفضل، سأشعر على نحو أفضل. أعرف شخصاً لم يخرأ لأيام. في النهاية انفجر. حقاً. تطاير الخراء من كرشه.

رنّ جرس الهاتف. تركته يرن. لا أجيب الهاتف في الصباح أبداً. رنّ خمس مرّاتٍ ثم توقف. ها أنا ذا وحيداً مع نفسي. ولإنني مقرف على هذا النحو، فذلك أفضل من أن أكون مع شخص آخر، أيّاً كان، جميعهم في الخارج يقومون بخدعهم وحركاتهم البهلوانية الصغيرة البائسة. سحبت الغطاء حتى رقبتي وانتظرت.

٢٣

عدت إلى ميدان السباق في الجولة الرابعة. كان عليّ أن أحقق شيئاً ما. كل طرقي مسدودة. أخرجت القائمة. أدرجت فيها كل شيء:

ـ اكتشاف ما إذا كان سيلين هو سيلين وتبليغ السيدة موت بما اكتشفته.

ـ العثور على العصفور الأحمر.

ـ اكتشاف ما إذا كانت سيندي تستغفل باس، وإن كان الأمر كذلك، دق مؤخرتها.

ـ إزاحة الكائنة الفضائية عن مؤخرة جروفرز.

طويت القائمة وأعدتها إلى جيبي. فتحت *الفورم*. كانوا على وشك بدء الجولة الرابعة في السباق. كان يوماً دافئاً وسهلاً. بدا كل شيء في حالة حالمة. ثم سمعت صوتاً من خلفي. جلس أحدهم خلفي. استدرت. سيلين. ابتسم إليّ قائلاً: «يوم جميل».

ـ سألته: «ماذا تفعل هنا بحق الجحيم؟».

قال: «لقد دفعت ثمن دخولي، لم يسألوني سؤالاً واحداً».

سألته: «أتتعقّبني يا ابن الزانية؟».

قال: «كنت على وشك توجيه السؤال نفسه إليك».

قلت له: «هناك أشياء كثيرة لا أفهمها».

قال: «وأنا أيضاً». ثم قفز إلى الصّف الذي أجلس فيه وجلس بجانبي مضيفاً: «سنتحدث».

«بالطبع.. الآن. بادئ ذي بدء، ما اسمك؟ اسمك الحقيقي؟».

شعرت بفوهة المسدس في جانبي. كان يخفيه تحت معطفه. سألته: «ألديك ترخيص لهذا الشيء؟».

«أنا من يطرح الأسئلة هنا». قال وهو يلكزني في جنبي بفوهة السلاح.

قلت: «تفضل».

«من الذي يريدني؟».

«السيدة موت».

ضحك مردداً: «السيدة موت؟ لا تجبني بالهراء!».

«أنا لا أقول هراء، هذا ما تدعو به نفسها «السيدة موت»».

«مجنونة ما، ها؟».

«ربما».

«أين أجد تلك الكلبة؟».

«لا أعرف. هي من تتصل بي».

«أتتوقع مني أن أصدق هذا؟».

«لا أعرف. هذا كل ما لديّ».

«ماذا تريد؟».

«تريد أن تعرف ما إذا كنت سيلين الحقيقي أم لا».

«حقاً؟».

«حقاً».

«على من تراهن في هذا السباق؟».

«القمر الأخضر».

«القمر الأخضر، هذا اختياري».

«أوكي. دعني أذهب لأراهن عليه، سأعود على الفور». قلت وأنا أنهض.

قال بنبرة هادئة: «اجلس وإلا فجّرت بيضتيك».

جلست.

قال: «الآن. أريدك أن تبعد هذه المرأة عني، وكذلك أريد أن أعرف اسمها الحقيقي. أنا لا أصدق موضوع السيدة موت هذا. وأريد منك أن تعمل على هذا. وأن تبدأ الآن».

«لكنني أعمل لحسابها هي، كيف سأعمل لحسابك أنت أيضاً؟».

«جد حلاً بنفسك أيها الفتى السمين».

«فتى سمين؟».

«بطنك يتدلّى أمامك».

«يتدلى أو لا يتدلى، إذا عملت لحسابك ستدفع لي في المقابل، وخدماتي لا تأتي رخيصة».

«قل كم تريد».

«٦ دولارات في الساعة».

مد يده إلى جيبه وأخرج حزمة نقود ألقى بها في جيب قميصي قائلاً: «هاك شهر مقدماً».

ثم علت ضجة الجمهور. كانت الخيول قد وصلت إلى خط النهاية ومن كان بين الثلاثة الفائزين؟ ومن فاز بالجولة الرابعة؟ القمر الأخضر. باحتمالات ٦ لـ ١.

قلت: «اللعنة. لقد كلفتني فوزاً. القمر الأخضر فاز بكل شيء».

«اخرس وانشغل بقضيتي».

«وهو كذلك، وهو كذلك.. كيف أتصل بك؟».

«ها هو رقمي». قال وهو يناولني ورقة صغيرة.

ثم نهض. سار في الممر، واختفى.

عرفت أنني وسط شيء ما كبير لكنني أعجز عن كشف غموضه. حسناً. عليّ أن أنشغل، هذا كل ما في الأمر.

فتحت *الفورم* لأتفقد الجولة الخامسة.

٢٤

في اليوم التالي ذهبت إلى متعهد دفن سيلفر هافن لأتفقد الأمر هناك. عمل جيّد، لا ركود. ركنت السيارة في الخارج ودخلت. مكان لطيف. قاعة هادئة، سجّاد سميك وقذر. تجوّلت في المكان فدخلت غرفة كبيرة أخرى، مليئة بالنعوش، كبيرة وصغيرة وعريضة ورفيعة. بعضهم يشتري نعشه قبل وفاته بوقت طويل. لست أنا. ليذهب النعش إلى الجحيم.

لم يبدُ أنَّ من أحد في المكان. كان بإمكاني أن أحمل نعشاً وأضعه في السيارة وأغادر المكان. أين جروفرز؟ أين أي أحد؟

راودتني رغبة طفيفة، ثم ألحّت، ففعلتها، رفعت غطاء أحد النعوش ونظرت بداخله. صرخت وأنا أصفع الغطاء لأغلقه مرة أخرى.

كان بداخله امرأة عارية. صغيرة وجميلة، لكن ميتة. يا للهول!

جاء هال جروفرز راكضاً: «**بيلين.. ماذا تفعل؟**».

- «**أفعل؟ أفعل؟ ماذا تعني؟ أين كنت بحق الجحيم يا جروفرز؟**».

- «**كنت في الحمّام. لماذا صرخت؟**».

أشرت نحو النعش وأجبته: «**لديك جثة في هذا النعش! شابة فاتنة! بحلمتين كبيرتين!**».

سار نحو النعش، فتح غطاءه، وقال: «ليس فيه جثة يا مستر بيلين».

«ماذا؟».

سرتُ إلى النعش ونظرت فيه مجدداً، كان فارغاً.

استدرت وأمسكت بجروفرز من طية صدر سترته: «لا تلعب معي يا صغير! لقد رأيت الجثة! رأيت فرجها! فاتنة ميتة شابة! هل تلعب معي؟ أنت و.... بيلي فرينش... مصاص الدماء! لست الرجل الذي تلعب معه يا جروفرز!».

«لا أحد يلعب معك يا بيلين. أنت تهذي».

تركت طية سترته قائلاً: «آسف. كان يجب أن أعرف».

«تعرف ماذا؟».

«إنها جيني نيترو. إنها تتلاعب بذهني. إنها تعلم أني أعمل لحسابك».

«لم أرها مؤخراً. لعلها رحلت».

«لم ترحل، إنها تنتظر».

«تنتظر ماذا؟».

«لا أعرف حالياً». درتُ على عقبيّ وجلت بنظري وسألته: «جروفرز، بسرعة! كم جثة لديك الآن؟».

«حضّرنا اثنتين. إنهما في غرفة الرقود».

«يجب أن أراهما!».

«ماذا؟».

«أتريد مني حلّ هذه القضية أم لا؟».

«أريد منك أن... تحلّها».

«سيكون عليّ أن أرى الجثتين إذن».

«لماذا؟».

«إن أخبرتك فلن تخمّن أبداً».

«ما معنى هذا؟».

«لا عليك.. دعنا الآن نلقي نظرة».

«هذا غير طبيعي بالمرة».

«هيا! هيا!».

«حسناً. تعال معي».

ذهبنا إلى غرفة الرقود. مكان راق. مظلم. شموع مشتعلة. كان هناك ثلاثة نعوش.

قلت لجروفرز: «أوكي.. دعني أرى».

«أيمكن أن تخبرني لماذا؟».

«جيني نيترو تريد أن تُسكن أصدقاءها الكائنات الفضائية في تلك الجثث. لتمنحهم قشرة. مخبأ. قوقعة. أتفهم، كالسلحفاة. إنها تحوم حولك من أجل هذه الأجساد».

«لكنها جثث، إنها تتحلل. ثم إننا سندفنها. كيف سيستخدمونها؟».

«ستختبئ الكائنات الفضائية في الجثث حتى يتم دفنها ثم تجد جثثاً أخرى».

«لكن لماذا يحتاجون لجثث ليختبئوا فيها، لماذا لا يختبئون في خزانات أو كهوف أو شيء كهذا؟ لماذا حتى لا يستخدمون أجساد الأحياء؟».

«أيها الأحمق، الأجساد الحية ستلفظهم. جروفرز افتح هذه النعوش! أعتقد أنهم بداخلها الآن!».

«بيلين. أعتقد أنك مجنون!».

«هيا، افتحها!».

فتح جروفرز النعش الأول. من خشب البلوط اللطيف. فيه رفيق في الثامنة والثلاثين من العمر تقريباً، شعره أحمر كث، يرتدي بذلة رخيصة.

التفت نحو جروفرز: «أحدها فيه الآن».

«كيف تعرف؟».

«رأيته للتو يتحرك».

«ماذا؟».

«رأيته يتحرك!».

مددت يدي ومسكت الرجل من رقبته: «هيا، هيا! أخرج من هنا! أنا أعرف أنك في الداخل!».

انفغر فمه قليلاً ومع هزّ الرأس خرج من الفم قطن أبيض. قفزت إلى الخلف صارخاً: «اللعنة. ما هذا؟».

تنهّد جروفرز تنهيدة خافتة: «بيلين، لقد عملت ساعة على حشو خديه ليبدو وجهه مليئاً ومعافى! وها قد تهدّل ثانيةً! سأضطر الآن للعمل عليه مرة أخرى».

«آسف. لم أكن أعرف، ظننت أننا نقترب من شيء. افتح نعشاً آخر! من فضلك!».

«افتحه أنت. هذا مقرِف حقاً. لا أعرف لماذا أسمح لك بهذا، لا بد أنني جُننت».

سرت إلى نعش من خشب الصنوبر. فتحته، نظرت، وظللت أنظر. ولم أصدق ما رأيته.

«جروفرز، أهذه مزحة؟ المرء لا يمزح بهذا الأسلوب. هذا ليس مضحكاً بالمرة».

كان الشخص الممدد في النعش هو أنا. كان النعش مبطّناً بالقطيفة وأنا أبتسم ابتسامة شمعية. ارتديت بذلة مجعدة بلون بني داكن ويداي معقودتان على صدري وحملت قرنفلاً أبيض.

عدت أواجه جروفرز.

«ماذا يجري هنا بحق الجحيم أيها الصغير؟ من أين جئت بهذه الجثة؟».

«أوه. هذا مستر أندرو دوجلاس. مات فجأة بأزمة قلبية. كان عمدة حيّ هنا لعدة عقود».

«جروفرز.. هذا هراء.. هذه الجثة أنا! أنا».

«هذا كلام فارغ،» قال جروفرز وسار نحو النعش لينظر فيه وقال: «إنه مستر دوجلاس».

عدت إلى النعش ونظرت فيه مرة أخرى. كان رجلاً عجوزاً بشعر أبيض، ٧٠ أو ٨٠ عاماً. بدا بحالة جيدة فعلاً، وضعوا له قليلاً من أحمر الخدود وأحمر الشفاه، ولمع جلده كأنهم دهنوه بالشمع. لكنه لم يكن أنا.

قلت: «هذه أفعال جيني نيترو، إنها تلعب معنا بقذارة».

«أظن أنك رجل مشوَّش جداً يا مستر بيلين».

قلت: «اخرس».

كان عليّ أن أفكّر. الأمر كله منطقي بطريقة ما، ثمة منطق ما.

دخل في تلك اللحظة رجل آخر ووقف عند الباب وقال: «الجثة جاهزة يا هال».

«شكراً بيلي. يمكنك الانصراف».

استدار بيلي فرينش وانصرف.

«يا يسوع. ألا يغسل يديه يا جروفرز؟».

«ماذا تقصد؟».

«لقد رأيت شيئاً أحمر على يديه».

«كلام فارغ».

«لقد رأيت شيئاً أحمر».

«مستر بيلين. هلاّ نظرت في النعش الثالث؟ رغم أنه فارغ. لقد اختاره سيد محترم مقدّماً».

استدرت ونظرت في النعش: «هل هو داخله يا جروفرز؟».

«لا.. الرجل ما زال حياً. النعش محجوز مقدماً. ثمة تخفيض عشرة بالمائة عند شراء النعوش مقدماً. أتفكر في شراء واحد؟ لدينا مجموعة رائعة».

«شكراً يا جروفرز. لكن لدي موعد الآن.. سأتصل بك».

استدرت وخرجت من الغرفة، عبرت الردهة وخرجت إلى الهواء المنعش الطيب. ابن العاهرة الذي يشتري نعشه مقدّماً هو ذاته ابن العاهرة الذي يستمني ست مرات في الأسبوع.

ركبت سيارتي الخنفساء، دست بقدمي لأزيد السرعة اندمجت في

حركة السير، ظنَّ سائق حافلة أنني قطعت عليه الطريق فأشار إليّ بالإصبع الوسطى، فرددت عليه بالإصبع أيضاً.

بدأت السماء تمطر. رفعت زجاج النافذة اليمنى وشغّلت المذياع.

٢٥

ركبت المصعد حتى الطابق السادس. اسم الطبيب النفسي سيمور دندي. دفعت الباب فوجدت غرفة انتظار مزدحمة بالمجانين. قرأ أحدهم الجريدة وهو يمسك بها مقلوبة، بينما جلس غالبيّة الآخرين، رجالاً ونساء، صامتين. بدوا كأنهم لا يتنفسون حتى. ساد الغرفة إحساس ثقيل ومظلم. سجلت اسمي في مكتب الاستقبال وجلست أنتظر دوري. كان الجالس بجانبي يرتدي حذاء بفردة بنية وأخرى سوداء. قال: «هيه يا رفيق».

«نعم».

«هل معك فكّة بنس؟».

«لا. ليس اليوم».

«ربما غداً؟».

«ربما».

«لكن قد لا أجدك غداً» قالها بتذمّر.

قلت بيني وبين نفسي: «هذا ما أرجوه».

انتظرنا وانتظرنا. كلنا. ألا يعرف الطبيب النفسي أن الانتظار أحد الأشياء التي تودي بالناس إلى الجنون؟ ينتظرون طوال حياتهم. ينتظرون الحياة وينتظرون الموت. ينتظرون في طابور لشراء ورق التواليت.

ينتظرون في طابور ليحصلوا على نقود، وإن لم يكن لديهم نقود ينتظرون في طوابير أطول. تنتظر وقت النوم ثم تنتظر وقت النهوض. تنتظر الزواج ثم تنتظر الطلاق. تنتظر سقوط المطر ثم تنتظر توقف المطر. تنتظر الأكل ثم تنتظر الأكل مرة أخرى. تنتظر في عيادة طبيب نفسي مع المجانين وتتساءل ما إذا كنت مثلهم.

لا بُدّ أنني انتظرت طويلاً جداً إلى حد أنني غفوت واستيقظت على موظفة الاستقبال تهزّني: «مستر بيلين، مستر بيلين، أنت التالي!».

كانت امرأة عجوز قبيحة، أقبح مني أنا. أفزَعَتني. كان وجهها قريباً جداً من وجهي. فكرت أن الموت يبدو مثلها هكذا، مثل هذه المرأة العجوز. قلت لها: «أنا جاهز يا عزيزتي».

«اتبعني».

مررنا بمكتب الاستقبال وعبرت ردهة وراءها. فتحَت باباً وهناك جلس رجل بدا مرتاحاً جداً وراء مكتبه، قميصه أخضر داكن، سترتة برتقالية مرنة مفتوحة الأزرار. نظارات شمس داكنة، ويدخّن سيجارة.

أشار إلى مقعد وقال: «اجلس».

انصرفت موظفة الاستقبال وأغلقت الباب.

راح دندي يشخبط بقلمه على ورقة. قال وهو ينظر فيها: «هذا سيكلفك ١٦٠ دولاراً في الساعة».

- «يا مَنيك».

رفع نظره إلى أعلى قائلاً: «هاه! أحب هذا!».

خطّ شيئاً آخر في الورقة ثم قال: «لماذا أنت هنا؟».

«لا أعرف من أين أبدأ».

«أبدأ بالعد تنازليا من عشرة إلى واحد».

«يا ابن المنيوكة».

«هاهه!.. هل ضاجعت أمك؟».

«مضاجعة من أي نوع؟ شفهية؟ روحية؟ أوضح».

«أنت تعرف ماذا أقصد».

«لا. لا أعرف».

شكّل بإصبعَيْ يده اليسرى، السبّابة والإبهام، فتحة مستديرة وأخذ يُدخل فيها سبّابة يده اليمنى ويُخرجها وهو يقول: «هكذا، مممم..».

«نعم. أتذكر، لقد عملت بيدها هكذا ذات مرة وأنا أدخلت إصبعي فيها كما تفعل».

قال دندي: «هل جئت هنا لتهينني؟ لا تسخر مني».

انحنيت نحوه من أعلى مكتبه وقلت له: «إنه من حظك يا رفيق أنني أسخر منك فقط!».

«أوه»، تراجع إلى الخلف بكرسيه، «أهكذا إذن؟».

«نعم. لا تلعب معي يا صغير، فأنا لست مسؤولاً عن أفعالي».

«أرجوك أرجوك يا مستر بيلين. ماذا تريد؟».

ضربت سطح المكتب بقبضة يدي صارخاً: «**اللعنة.. أريد مساعدة!**».

«بالطبع يا مستر بيلين.. أين وجدتني؟».

«في الدليل».

«في الدليل؟ أنا لست مدرجاً في الدليل».

«بل مُدرَج. سيمور دندي، طبيب نفسي، مبنى جارنر، شقة ٦٠٤».

«هذه شقة ٦٠٥، أنا صامويل ديلون، محام، مستر دندي موجود في الشقة المجاورة، أخشى أنك أخطأت العنوان».

نهضت وابتسمت: «أنت تتلاعب بي الآن دندي، تحاول أن تتعادل معي، إن كنت تظن أنك أدهى مني فما في رأسك ليس مخّاً بل خراء فراخ!».

كنت هناك لأعرف ما إذا كانت قضية سيلين والعصفور الأحمر والسيدة موت والكائنات الفضائية وجاك وسيندي باس حقيقية، أم أنني أعاني من مشاكل ذهنية فعلاً. أعني أن لا شيء من هذا بدا منطقياً. هل فقدت عقلي؟ وإلى أين سيؤول بي الأمر؟ ولماذا؟.

ضغط المدعو صامويل ديلون على زر في مكتبه وسرعان ما عادت موظفة الاستقبال. ما زالت أقبح مني. لا شيء تغير. قال: «مولي. من فضلك رافقي هذا السيد المحترم إلى عيادة دكتور دندي. شكراً».

تبعتها إلى رواق البناية حيث فتحت باب ٦٠٤ وهمست لي: «ادخل أيها الغبي..».

دلفت غرفة انتظار مزدحمة أخرى. رأيت أول ما رأيت الرجل ذا الحذاء من فردة بنية وأخرى سوداء الذي سألني عن فكة بنس. رآني هو الآخر فقال: «هاي مستر...».

سرت نحوه. فأضاف: «حدثت معك أنت أيضاً ها؟».

«ماذا؟».

«إنه.. إنه.. دخلتَ من الباب الخطأ... دخلت من الباب الخطأ...».

استدرت وخرجت من هناك، أخذت المصعد وانتظرته ليصل إلى

الطابق الأرضي. ثم انتظرت أن ينفتح بابه. ثم سرت في مدخل البناية وخرجت إلى الشارع ووجدت سيارتي. ركبتها. أدرتها. انتظرت أن يسخن المحرك. وصلت إلى إشارة. كانت حمراء. انتظرت. ضغطت على قداحة السيارة وانتظرت أن يتحول ضوء الإشارة إلى الأخضر. برزت القداحة للخارج فأشعلت سيجارتي وأنا أقود. شعرت أن عليّ أن أمر بالمكتب.. أن أحدهم في انتظاري هناك.

٣٦

كنت مخطئاً. لم يكن من أحد في المكتب. درت حول مكتبي وجلست خلفه.

شعرتُ بإحساس غريب. أشياء كثيرة ليست مفهومة. أعني، في مكتب المحامي، لماذا كان ذاك الرجل يقرأ الجريدة بالمقلوب؟ كانت تابعة لعيادة الطبيب النفسي. ربما كانت الصفحة الخارجية من الجريدة فقط هي المقلوبة وتلك التي قرأها كانت في وضعها الصحيح؟ هل هناك رب؟ أين العصفور الأحمر؟ لدي أشياء كثيرة جداً لحلّها. النهوض من الفراش في الصباح مثله مثل مواجهة جدار الكون الأصم. ربما عليَّ أن أذهب إلى حانة عزاة وأحشر ورقة من فئة خمسة دولارات في مؤخرة إحداهن؟ أحاول أن أنسى كل شيء. ربما عليّ أن أذهب إلى مباراة ملاكمة وأشاهد رجلين يتعاركان حتى الموت؟

لكن المشاكل والألم هما ما يبقيان المرء حيّاً، أو محاولة تفاديهما. إنها وظيفة كاملة الوقت، وأحياناً حتى أثناء النوم، لا راحة منها. في آخر أحلامي رقدت تحت فيل عاجز عن الحركة وقد أخرج خراء أكبر من أي خراء قد تقع عليه عيونكم، كاد الخراء يسقط عليَّ حين سار قطّي، هامبورجر، فوق رأسي فأيقظني. أخبر طبيباً نفسيّاً بهذا الحلم وسيحوّله إلى شيء مريع. لأنك تدفع له نقوداً كثيرة، فسيحرص على أن تشعرَ بسوءٍ شديدٍ، سيخبركَ أنّ الخراء أير وأنك إما خائف منه أو راغب

فيه.. وهراء من هذا القبيل. ما يعنيه حقاً هو أنه هو، الطبيب، إما خائف من الأير أو راغب فيه. إنه مجرد حلم عن خراء فيل، لا أكثر ولا أقل. أحياناً لا تعني الأشياء سوى ما تبدو عليه فقط، هذا كل ما في الأمر. أفضل مَنْ يفسّر الحلم حالِمه. احتفظ بنقودك في جيبك. أو راهن بها على حصان جيد.

رشفت جرعة باردة من الساكي. انتصبت أذناي وشعرت أنني أفضل قليلاً. بدأ عقلي يدفأ قليلاً. لم أكن ميتاً بعد، كنت فقط في حالة من التحلّل السريع. ومن ليس كذلك؟ نحن جميعاً في المركب المثقوب نفسه.. نتسلّى. خذوا أعياد الميلاد المجيدة، نعم. خذوها بعيداً من هنا إلى الجحيم. إن من اخترعها لم يحمل همّاً في حياته أبداً. علينا نحن، البقية، أن نُفرغَ فضلاتنا فقط كي نعرف أين نتواجد. حسناً، لا أين نتواجد وإنّما أين لا نتواجد. كلما أفرغتم أكثر رأيتم أكثر. كل شيء يسير بشكل معكوس. ارجع إلى الوراء وستقع قمة النشوة في حِجرك. طبعاً.

رشفت جرعة ساكي أخرى. بدأت أصل. أصل إلى المنعطف. فلتسقط البيضات. أنا نِك بيلين. المحقق الخارق.

ثم رن جرس الهاتف. رفعت السماعة كما يفعل أي شخص عادي. حسناً، ليس تماماً، أحياناً يجعلني الهاتف أفكر في خراء الفيل. تعرفون، كل الخراء الذي تسمعونه. الهاتف ليس سوى هاتف لكن ما يأتي منه شيء آخر مختلف.

«أنت فيلسوف خائب»، قالت السيدة موت.

«بالنسبة لي، أنا رائع»، قلت.

«الناس يعيشون في أوهامهم»، قالت.

«ولِمَ لا؟ ماذا نملك غيرها؟».

«نهايتهم».

«لا بأس، إلى الجحيم»، قلت.

«أنت إلى الجحيم، ماذا يحدث في رقصة سيلين؟» قالت السيدة موت.

«حللتها كلها يا حلوتي».

«فهّمني أيها الفتى السمين».

«قابلني في حانة موسو غداً في الثانية والنصف بعد الظهر».

«وهو كذلك، لكن الأفضل أن يكون لديك شيء. هل لديك شيء؟».

«حبيبتي، أنا لا أستطيع الكشف عن رأسي».

«ماذا تقصد بحق الجحيم؟».

«آسف، أقصد الكشف عما في رأسي».

«الأفضل لك أن يكون لديك شيء..».

«أراهن بحياتي»، قلت.

«لقد فعلت لتوك». قالت السيدة موت وأنهت الاتصال.

أعدت سماعة الهاتف، حدّقت فيها لبرهة. أخذت سيجاراً قديماً من منفضة السجائر، أشعلته، شعرت بالاختناق.

رفعت سماعة الهاتف وطلبت رقم سيلين.

أربع رنّات، ثم سمعت صوته: «نعم؟».

«سيدي لقد ربحت صندوقي شوكولاتة بالكرز ورحلة إلى روما».

«أياً كنت، لا تعبث معي».

«هذا نِك بيلين..».

«سآخذ الشوكولاتة..».

«قابلني في حانة موسو غداً في الثانية والنصف بعد الظهر».

«لماذا؟».

«فقط تعال أيها الفرنسي وستنتهي متاعبك».

«هل أنت متأكد؟».

«نعم».

«سأكون هناك..». قال ثم أنهى الاتصال.

لم يعد أحد يقول سلاماً هذه الأيام. ليس في عالمنا هذا.

حدّقت في الساكي. ثم لجأت إليه.

٢٧

في الثانية والربع بعد الظهر كنت أجلس إلى طاولة في موسو وأمامي كأس فودكا ٧. سيلين والسيدة موت على وشك أن يلتقيا. اثنان من عملائي. العمل يسير بشكل جيد، فقط بلا توجيه. ظل رجل في طاولة لاثنين مقابلة لطاولتي يحدّق بي. بعض الناس يحدِّقون، تعرفون، كالبقر. من دون أن يكونوا مدركين للأمر. شربت جرعة من كأسي، أعدت وضعها على الطاولة، ورفعت عيني. ما زال يحدّق. فكرت أن أمنحه دقيقتين وإذا استمر في التحديق سأكسر ضلوعه.

مرت دقيقة و٤٥ ثانية وإذا به ينهض ويسير نحو طاولتي. تحسّست مسدسي. موجود. دافئ في موضعه. أفضل انتصاب للرجل. بدا كسائس موقف سيارات، أو طبيب أسنان. له شارب قبيح وابتسامة مستعارة، أو ربما شارب مستعار وابتسامة قبيحة. اقترب من طاولتي، توقف يستعرض عضلاته أمامي. قلت له: «اسمع يا رفيق، أنا آسف ليس معي فكة».

- «أنا لا أتسول منك يا صغير».

وتّرني. كانت عيناه كعيني سمكة ميتة. سألته: «ما مشكلتك إذن؟ هل طردوك من النزل الذي تقيم فيه؟».

«لا.. أنا أقيم مع أمي». قال.

«كم عمرك؟».

«٤٦» قال.

«هذا مقرف».

«لا. بل هي المقرفة. بوّالة لا إرادياً، حفاظات مطاطية. الحزمة كلها».

«أوه. آسف».

«أنا أيضاً».

وقف يستعرض عضلاته أمامي فقط. فقلت له: «حسناً. لا أعرف كيف يمكنني أن أساعدك بهذا الشأن».

«ليس بمقدروك فعل شيء».

أنهيت كأسي. فأردف: «أردت فقط أن أسألك... أردت فقط أن أسألك عن شيء».

«أوكي. أوكي. اسأل».

«ألست سبايك جينكينس؟».

«من؟».

«سبايك جينكينس. كنت تصارع خارج ديترويت، من الوزن الثقيل. رأيتك تصارع تايجر فروستر، أفضل مصارعة رأيتها في حياتي».

«من فاز؟».

«تايجر فورستر».

«أنا لست جينكينس. عد واجلس حيث كنت».

«أنت لا تمزح معي؟ ألست سبايك جينكينس؟».

«لم أكن يوماً».

«حسناً. لتحل عليّ اللعنة».

استدار، وعاد إلى طاولته وجلس، تماماً كما أمرته.

نظرت في ساعة يدي. كانت الثانية والنصف تماماً. أين هما؟

أشرت للنادل أن يأتيني بكأس أخرى.

في الثانية وخمس وثلاثين دقيقة ظهر سيلين. وقف هناك هنيهة ينظر حوله. أمسكت بمنديل الطاولة وضعته على شوكة ولوّحت له به. سار نحوي وجلس قائلاً: «سآخذ ويسكي وصودا». كان توقيته جيداً إذ أتى النادل لتوه بكأسي الثانية. فأبلغته بطلب سيلين.

شربت من كأسي دون أن أنتظره. كان لديّ شعور غريب. كأن لا شيء يهم، تعرفون. السيدة موت، موت. أو سيلين. أرهقتني اللعبة. فقدت حماستي. إن الوجود ليس سخيفاً فقط، بل محض مشقة أيضاً. فكروا كم مرة ارتديتم ملابسكم الداخلية على مدار حياتكم. الأمر مقزز، مقرف، غبي.

ثم جاء الرجل الذي يستعرض عضلاته مرة أخرى. قال لسيلين: «هيه، هذا الرجل الجالس معك، أليس سبايك جينكينس؟».

قال سيلين: «سيدي، إن كنت تخاف على بيضتيك في شكلهما الحالي، فابتعد من هنا بسرعة».

انصرف الرجل مرة أخرى.

«وهو كذلك،» قال سيلين، «لماذا أنا هنا؟».

«سأجعلك تقابل السيدة موت».

«فالموت سيدة إذن، ها؟».

«أحياناً...».

وصلت كأسه. شربها دفعة واحدة.

«هذه السيدة موت؟ هل سنكشفها؟».

«هل سبق أن رأيت سبايك جينكينس يصارع؟».

«لا».

«إنه يشبهني».

«هذا لا يعد إنجازاً كبيراً».

ثم دخلت. السيدة موت. تأنّقت بشكل قاتل. جاءت إلى طاولتنا، وضعت مؤخرتها على الكرسي وقالت: «ويسكي حامض».

لوّحت للنادل ليأتينا. وأعلمته بطلبها.

«لا أعرف كيف أقدّم أحدكما إلى الآخر لأنني لا أعرف من تكونان حقاً».

«أيّ محقّق أنت؟» سأل سيلين.

«أفضل محقّق في إل أيه؟».

«حقاً؟ وإلام تشير إل أيه؟».

«لوست آسهولز[1]».

«أشربت كثيراً؟».

«مؤخراً».

جاء ويسكي السيدة موت الحامض. شربَته دفعة واحدة وخبَطَت الكأس على الطاولة ثم نظرت إلى سيلين وقالت: «قدِّم نفسك إذن. ما اسمك؟».

---

(١) حمقى ضائعون.

«سبايك جينكينس».

«سبايك جينكينس مات».

«كيف تعرفين؟».

«أعرف».

لوّحت للنادل وطلبت ثلاث كؤوس أخرى.

ثم جلسنا ننظر إلى بعضنا. قلت: «نحن الآن في طريق مسدود. طريق مسدود بالتأكيد. وإلى أن نجد مخرجاً سأدفع حساب جميع المشروبات. دعونا إذن نراهن رهاناً صغيراً، ومن يخسر يدفع حساب جولة أخرى من الشراب».

سأل سيلين: «أيّ رهان؟».

«أوه، شيء ما بسيط، على نحو كم رقماً في رخصة قيادتك. أعني أرقام الرخصة نفسها».

قال: «يبدو غبياً».

قلت: «تحلّ بالروح الرياضية».

قالت السيدة موت: «لا تكن جباناً».

قال: «حسناً سيكون عليّ أن أخمن».

قلت: «حزِّر فزِّر».

قالت: «هات أفضل ما عندك يا عزيزي».

قال: «حسناً، سأقول ٨ أرقام».

قالت: «أنا أقول ٧».

قلت: «أنا ٥... الآن.. لنلقِ نظرة على رخصنا. لنر».

أخرجنا رخص القيادة. قالت السيدة موت: «أه. رخصتي فيها ٧ أرقام».

قلت: «اللعنة.. ورخصتي فيها ٧ أيضاً».

قال سيلين: «ورخصتي فيها ٨».

«هذا غير يمكن. دعني أرى». قلت وأنا أمدّ يدي لآخذ رخصته، «إنها ٧ أرقام لكنك عددت الحرف الذي يسبق الأرقام.هذا ما فعلته. هنا.. انظري..». وناولت الرخصة للسيدة موت. كانت ٧ أرقام إلى جانب معلومات أخرى: **لويس فرديناند ديستاتشيز، ١٨٩٤.**

اللعنة. ارتجف جسدي كله. لم تكن ارتجافات ضخمة لكنها قوية، قلّلتها بإرادة حديدية إلى قشعريرة متواصلة إلى حد ما. كل شيء كان أكثر من اللازم. كان هو. يجلس معنا إلى طاولة في حانة موسو في ظهيرة أحد الأيام القريبة من القرن الحادي والعشرين.

كانت السيدة موت في حالة من النشوة، هذا كل ما في الأمر، حالة من النشوة. بدت جميلة حقاً، كانت متوهجة.

قال سيلين: «ناولاني رخصتي اللعينة».

قالت السيدة موت وهي تبتسم وتعيد إليه الرخصة: «بالطبع أيها الفتى الكبير».

قلت لسيلين: «حسناً، يبدو أننا نحن الاثنان خسرنا، سنلقي عملة لنرَ أياً منا سيدفع الحساب. أوكي؟».

قال: «طبعاً».

أخرجت من جيبي الربع دولار تميمتي، رميت به عالياً في الهواء وقلت لسيلين «اختر أحد الوجهين: كتابة أم ملك!».

قال: «كتابة!».

سقطت العملة على الطاولة وكانت ملك. أخذتها وأعدتها إلى جيبي. وقلت له: «لا أعرف لماذا أحسّ بأن هذا ليس يوم سعدك».

قالت السيدة موت: «إنه يوم سعدي أنا».

وصلت المشروبات. فقال سيلين للنادل: «أضف هذا على حسابي».

جلسنا هناك بكؤوسنا.

قال سيلين: «أشعر أنني خُدعت». ثم أطاح بكأسه، «لقد حذروني منكم أيها النّصابون من لوس أنجلوس».

سألته: «أما زلت تمارس الطب؟».

قال: «سأغادر من هنا».

قالت السيدة موت: «أوه. اشرب كأساً أخرى، هيا، إن العمر قصير للغاية».

قال: «لا. سأخرج من هذا الجحيم». ثم ألقى بورقة من فئة عشرين دولاراً على الطاولة ونهض وسار نحو الباب، ثم اختفى.

قلت للسيدة موت: «حسناً، لقد ذهب...».

«ليس تماماً».

تناهت أصوات إلى مسامعنا، صوت فرامل سيارة وإطارات تحتك بالأسفلت، صوت خبطة عالٍ، كمعدن يخبط لحماً. قفزت من مقعدي وهرعت إلى الخارج. هناك، في منتصف جادة هوليوود، رقد جسد سيلين. خرجت من السيارة الأولدز القديمة سيدة سمينة بقبعة حمراء كانت تقودها، ظلت تصرخ بلا توقف. كان سيلين ساكناً تماماً. أدركتُ أنه مات.

استدرت عائداً إلى موسو. كانت السيدة م. قد اختفت. جلست إلى الطاولة. لم أكن قد لمست كأسي بعد. أنهيتها تماماً وجلست أفكر، الطيبون يموتون عجائز، جلست هناك لمدة أطول. سمعت صوتاً يقول: «هيه جينكينس، ذهب أصدقاؤك كلهم. أين ذهبوا؟» كان المستعرِض عضلاته ما زال جالساً.

سألته: «ماذا تشرب؟».

«رام وكولا».

ناديت على النادل: «كأسان رام وكولا، واحدة لي» ثم أشرت نحوه: «وواحدة له».

وصل الشراب. جلس المستعرِض إلى طاولته مع كأسه، وجلست إلى طاولتي مع كأسي.

حينها سمعت صوت سيارة الإسعاف. حين لا تسمعها تكون من أجلك.

أنهيت كأسي، دفعت حسابي، وفوقه ٢٠% بقشيشاً وخرجت.

٢٨

في اليوم التالي، في المكتب، رفعت قدميّ على المكتب وأشعلت سيجاراً قوياً جيداً. اعتبرت نفسي ناجحاً. لقد حللت قضية. خسرت اثنين من عملائي لكنني حللت قضية. لكن العمل لم ينتهِ بعد. ما زال عليّ أن أعثر على العصفور الأحمر. وما زال هناك جاك باس وسيندي. وهال جروفرز وتلك المخلوقة الفضائية، جيني نيترو. تقافزت أفكاري بين سيندي باس وجيني نيترو. كانت أفكاراً لطيفة. كان ذلك أفضل على كل حال من الاختباء وانتظار طيرانهما.

وصلت إلى التّفكير في حلول للحياة. من يجدون الحلول في العادة هم المثابرون جداً والمحظوظون قليلاً. إذا صبرتم بما يكفي حالفكم حظّ سعيد. مع ذلك أغلب الناس لا يطيقون صبراً حتى يحالفهم الحظ، يتوقفون عن المحاولة. لكن ليس بيلين، لأنه ليس حماراً تافهاً، بل طيار على قمة اللعبة. كسول قليلاً ربما، لكنه موهوب.

سحبت الدّرج الأيمن الأعلى، وجدت زجاجة الفودكا ومنحت نفسي جرعة، كأساً على شرف النصر. المنتصرون يكتبون التاريخ، ويحاطون بالعذراوات الرائعات...

رنّ جرس الهاتف. رفعت السماعة: «بيلين».

قالت سيدة: «لم تر آخر ما عندي بعد». كانت السيدة موت.

«انظري يا صغيرتي، ألا يمكن أن نتفق؟».

«لم يحدث ذلك من قبل بيلين».

«لنجعلها سابقة، لنحاول ولو مرة واحدة يا سيدتي».

«هذه ليست لعبة يا بيلين».

«حسناً، أوكي، لكن ما رأيك في موعد، أتعلمين، م.ي.م.؟».

«ما هذا؟».

«موعد يوم الموت».

«بمَ سينفعك هذا؟».

«سيدتي، أستطيع أن أستعد».

«على البشر جميعاً أن يستعدوا في جميع الأحوال يا بيلين».

«سيدتي، البشر لا يفعلون هذا، إما يتناسونه أو يتجاهلونه أو أنهم أغبياء جداً إلى حد لا يفكّرون فيه».

«هذا لا يعنيني يا بيلين».

«ما الذي يعنيكِ سيدتي؟».

«عملي».

«وأنا أيضاً يا سيدتي، أهتم بعملي».

«هذا مفيد لك أيها الفتى السمين. هذه المكالمة لأُعلِمَك أنني لم أنساك».

«آه. شكراً جزيلاً يا سيدتي، لقد أسعدتِ يومي حقاً».

«أراك لاحقاً يا بيلين». وأنهت الاتصال.

هناك دائماً شخص على استعداد أن يُفسد عليك يومك، إن لم يكن

حياتك. أطفأت سيجاري، ارتديت قبعتي، خرجت من الباب، أقفلته، سرت إلى المصعد ونزلت عبره. حين خرجت إلى الشارع وقفت هناك أراقب الناس يروحون ويجيئون. بدأ بطني يتلوّى فسرتُ مسافة قصيرة حتى وصلت إلى حانة **ذا إكليبس**[1]، دخلت، أخذت كرسي بار. كان عليّ أن أفكر. كانت لديّ قضايا لأحلّها ولم أكن أعرف من أين أبدأ. طلبت الويسكي الحامض مع البيرة. في الحقيقة أردت أن أرقد في مكان ما وأنام لعدة أسابيع. بدأت اللعبة ترهقني. كانت مثيرة في وقت من الأوقات، مثيرة قليلاً وليس جداً. لا أريد أن أزعجكم. تزوجت ثلاث مرات، وطُلقت ثلاثاً. ولدت على استعداد للموت. لا شيء يشغلني سوى حل قضايا لا يرغب الآخرون في الاقتراب منها. ليس من أجل الأجر.

ظل رجل على الطرف الآخر من البار ينظر إليّ. كنت أشعر بنظراته. لم يكن في الحانة أحد سواي أنا، وهو، والساقي. أنهيت كأسي وناديت على الساقي ليأتي لي بأخرى. كان لديه شعر كثيف في وجهه.

سألني: «نفس الشيء، هه؟».

قلت: «نعم، لكن أقوى».

سأل: «بنفس السعر؟».

قلت: «بقدر الإمكان».

«ما معنى هذا؟».

«ألا تفهم معنى هذا أيها الساقي؟».

«لا...».

---

(١) الخسوف.

«حسناً، فكر فيه وأنت تُعِدّ لي كأسي».

غادر.

التقطَ الجالس في الطرف الآخر من البار نظرتي فلوّح وصاح قائلاً: «كيف حالك يا إيدي؟».

«أنا لست إيدي».

«إنك تشبه إيدي».

«لا يعنيني البتة سواء كنت أشبهه أم لا».

سألني: «أتبحث عن مشاكل؟».

قلت: «نعم. هل عندك بعض منها؟».

جاء الساقي بكأسي، أخذ النقود التي تركتها على البار وقال: «لا أظنك رجلاً لطيفاً».

«من سمح لك بأن تظن؟».

«لست مضطراً لخدمتك».

«إن لم تكن تريد النقود سأحتفظ بها لنفسي».

«لا أريدها إلى هذه الدرجة...».

«إلى أي درجة تريدها إذن، قل لي...».

صاح الجالس في أقصى البار: «**لا تخدمه مرة أخرى**».

«كلمة واحدة أخرى وسأحشر قدمي في مؤخرتك! وسيضطرون لشفط الحصى الأحمر من خديك بأنابيب مطاط».

ابتسم الرجل ابتسامة واهنة، وظل الساقي واقفاً مكانه.

قلت له: «اسمع، لقد جئت هنا فقط لأشرب بهدوء وسلام، والجميع يهذون في أذني! بالمناسبة، هل رأيت العصفور الأحمر؟».

«العصفور الأحمر؟ ما هذا؟».

«ستعرفه حين تراه. اللعنة، لا يهم..».

أنهيت كأسي وخرجت من هناك. كان الجو أفضل في الشارع. سرت بلا وِجهة. لا بدّ من تغيير ما، ولن يكون من ناحيتي. رحت أعد كل أحمق يمرُّ بي. عددت خمسين أحمق في دقيقتين ونصف، ثم دخلت الحانة التالية.

٢٩

دلفت وجلست على أحد كراسي البار. جاءني الساقي وقال: «مرحبا يا إيدي».

«أنا لست إيدي».

«أنا إيدي».

«الأفضل لك ألا تلعب معي».

«لا. أنت من تلعب معي».

«انظر أيها الساقي، أنا رجل مسالم. طبيعي إلى حد ما، لا أشم إبطي ولا أرتدي ملابس داخلية حريمي. لكنني كلما ذهبت إلى مكان وجدت أحدهم يدفعني إلى العراك، بلا هوادة. لماذا هذا؟».

«أعتقد. أنك تثير فيهم هذا بطريقة ما».

«حسنا يا إيدي. توقف عن الاعتقاد وأعدد لي إن استطعت كأس فودكا دوبل بالتونيك، ليمون قليل».

«ليس لدينا ليمون».

«بل لديكم، يمكنني أن أراه من هنا».

«هذا الليمون ليس لك».

«حقاً؟ لمن إذن؟ لإليزابيث تايلور؟ هيّا، إن أردت أن تنام في فراشك الليلة أحضر الليمون، في كأسي، برونتو»[1].

«حقاً؟ ماذا ستفعل؟ أنت وجيش من لا أدري؟».

«كلمة أخرى يا فتى وستعاني من مشاكل في التنفس».

وقف هناك ينظر إليّ ويفكر هل يستفزّني أم لا. طرفت عينه ثم تعقّل وانصرف وراح يعد لي كأسي. راقبته بحرص. لم يقم بخدع. ثم جاء بالكأس يقول: «كنت أمزح معك يا مستر. ألا تقبل المزاح؟».

«هذا يعتمد على المزاح نفسه».

انصرف إيدي مرة أخرى ووقف عند الطرف الآخر من البار.

رفعت الكأس أفرغتها ثم أنزلتها بقوة على البار. ثم سحبت ورقة نقدية، أخذت الليمون، وعصرته عليها ثم لففتها حول الليمونة ودحرجتها على البار نحو الساقي. توقفت أمامه. نظر إليها. نهضت ببطء وطرقعت رقبتي يمنة ويسرى، ثم استدرت وانصرفت. قررت أن أعود إلى المكتب. كان ينتظرني عمل لأنجزه. كانت لي عينان زرقاوان ولم يحبّني أحد سواي. سرت في الشارع أدندن مقطوعتي المفضلة من «كارمن».

---

(١) بسرعة.

٣٠

فتحت قفل باب مكتبي، فتحت الباب على مصراعيه، فوجدتها هناك: جيني نيترو، تجلس على مكتبي، تضع ساقاً فوق الأخرى، وتدق المكتب بكعبها. ابتسمت قائلة: «بيلين، أيها السكير المثير للشفقة، كيف حالك؟».

بدت رائعة. أفهم ما يعانيه جروفرز. فيم يهم أن تكون كائناً فضائياً؟ تتمنى حين تراها لو أن ثمة المزيد منها على الأرض. لكن جروفرز موكّلي. عليّ أن أقضي عليها، أن أمحوها من المشهد. لا راحة لي. مربوط دائماً بعربة الآخرين.

درت حول مكتبي، ارتميت على مقعدي، وقذفت بقبعتي الديربي على مشجب القبعات، أشعلت سيجاراً وتنهّدت. جلست جيني على المكتب من دون أن تتحرك، تخبط برجليها.

«لأجيب عن سؤالك جيني، أنا بخير».

«جئت لأبرم معك اتفاقاً يا بيلين».

«أفضّل سماع سوناتا سكارلاتي».

«متى كانت آخر مرة ضاجعت فيها امرأة؟».

«من يهتم؟».

«أنت يجب أن تهتم».

«افرضي أنني لا أهتم».

«أظن أنك تهتم».

«أتعرضين عليّ جسدك يا جيني؟».

«ربما».

«ماذا تعني بربما، إما نعم أو لا».

«الجسد جزء من الاتفاق».

«الذي هو؟».

قفزَتْ عن المكتب وراحت تمشي فوق السجادة.

«بيلين،» قالت وهي تسير: «إنني الموجة الأولى من قوات احتلال آتية من الفضاء. سنستولي على الأرض».

«لماذا؟».

«أنا من كوكب زاروس. تعدادنا السكاني ضخم للغاية ونحتاج الأرض لنسلنا المتزايد».

«حسناً، ولماذا بحق الجحيم لا تنتقلون؟ إنكم تشبهون البشر جداً ولن يلاحظ وجودكم أحد على الإطلاق».

توقفت عن السير وواجهتني قائلة: «بيلين. نحن لسنا على صورة البشر، ما تراه ليس سوى وهم». ثم جاءت وجلست على المكتب مرة أخرى.

«كيف تبدون حقاً إذن؟».

«هكذا»... ومض ضوء بنفسجي. نظرت إلى مكتبي فوجدت ذاك الشيء. بدا كأنه ثعبان أكبر قليلاً من الحجم العادي، لكنه مغطى بشعر خشن وفي منتصفه كرية صغيرة رطبة بعين واحدة. لم يكن في الرأس

عيون، فم رفيع فقط. كان شيئاً بشع الهيئة حقاً. أمسكت الهاتف ورفعته عالياً وأسقطته على ذلك الشيء بقوة. لكنني أخطأته. انزلق الشيء على أحد جانبيه وزحف فوق السجادة، لاحقته لأسحقه بحذائي، ومض الضوء البنفسجي وظهرت جيني مرة أخرى. قالت: «أيها الأحمق، أتحاول قتلي؟ لا تثر غضبي وإلا أخرجتك منها!».

اتقدت عيناها.

«أوكي يا حلوة أوكي. لقد ارتبكت فقط. آسف».

«حسناً. انس الأمر. الآن. نحن قوة استطلاعية مرسلة لاستكشاف الأرض من أجل حلّ مشكلة تعدادنا الزائد. لكننا نرى أن من الحكمة أن نجنّد بعضاً منكم أيها البشر لخدمة قضيتنا. مثلك أنت».

«لماذا أنا؟».

«أنت النوع المثالي. ساذج، أناني وليس لك شخصية مميزة».

«وماذا عن جروفرز؟ لماذا هو؟ لماذا الجثث؟ لماذا وقع اختيارك عليه؟».

ضحكت مجيبة: «لم أختره، لقد رسونا هناك فقط، فصرت مرتبطة به بطريقة ما، تسلية عادية، شيء ما يشغلني..».

«وأنا؟ أتشعرين برغبة فيّ يا حلوة؟».

«أنت مفيد لقضيتنا».

تحركَت نحوي. شعرت بدوار قوي. ضغطت جسدها بجسدي. تعانقنا والتقت شفتانا، اندفع لسانها في فمي، كان ساخناً ويتلوى كثعبان صغير.

دفعتها بعيداً عني قائلاً: «لا.. أنا آسف، لا أستطيع!».

نظرت إليّ قائلة: «ما الأمر يا بيلين؟ أأنت عجوز؟».

«ليس هذا يا حلوة..».

«ماذا إذن؟».

«لا أريد أن أجرح مشاعرك».

«أخبرني يا بيلين...».

«حسن، قد تتحولين إلى هذا الشيء مرة أخرى بقوة الدفع حين نندمج، وهذه العين الواحدة..».

«أيها المنيك السمين.. إن الزاروسييات جميلات!».

«عرفت أنك لن تفهمي..».

عدت خلف مكتبي، جلست، فتحت الدرج، وجدت زجاجة الفودكا، فتحت غطاءها وتجرعت منها، وسألتها: «كيف هبطتم؟».

«بسفينة فضائية».

«سفينة فضائية ها؟ كم عددكم؟».

«٦».

«لا أدري إن كان بإمكاني مساعدتكم يا حلوة».

«ستساعدنا بيلين».

«وإلا؟».

«ستموت».

«يا يسوع. في البداية السيدة موت، والآن أنتِ، كل ما تفعلنه أيها النساء أن تهدّدنني بالموت. حسناً، ربما لديَّ ما أقوله في هذا الشأن!».

بحثت بيدي في الدرج عن المسدس. أمسكته، سحبت زناد الأمان وسددته نحوها قائلاً:

«سأدفعك بهذا طوال الطريق إلى زاروس يا حلوة!».

«هيا، اضغط».

«ماذا؟».

«قلت لك اضغط يا بيلين!».

«أتظنين أني لن أضغط؟» شعرت بقطرات عرق على صدغيّ بالفعل. فكررت: «أتظنين أني لن أضغط؟».

ابتسمت وقالت: «اضغط الزناد اللعين يا بيلين!».

صار وجهي كله كتلة من قطرات العرق: «أرجوكِ يا حبيبتي عودي إلى زاروس».

«لا!».

ضغطت على الزناد. صدر صوت مدوٍّ وارتج المسدس في يدي. مسحت العرق عن عيني ونظرت.

كانت تقف أمامي وتبتسم لي. أمعنت النظر. شيء ما في فمها. الرصاصة. التقطت الرصاصة بأسنانها. سارتْ نحو المكتب ثم توقَفتْ وبصقتَها في منفضة السجائر.

قلت لها: «قد نجمع ثروة من هذه الخدعة يا حلوة! هيا لنكوّن فريقاً! سنكون أغنياء! فكري في الأمر».

«بالطبع لا بيلين، سيعد هذا إساءة استغلال لقدراتي».

رشفت جرعة فودكا أخرى. أنا في مأزق حقيقي هنا معها.

قالت: «الآن. سأدرجك في قائمة مؤيدينا، مؤيدي قضية زاروس،

شئت أم أبيت. ما زلنا نراجع خطتنا لاحتلال الأرض، وسيتم إبلاغك بالأوامر في الوقت الذي نراه مناسباً».

«اسمعي يا جيني، ألا يمكنك العثور على شخص آخر لهذا الأمر اللعين؟».

ابتسمتْ وقالت بغنج: «**لقد اخترناك!**».

ومض الضوء البنفسجي واختفت جيني.

٣١

هاتفت جروفرز. كان في العمل.

«كيف حال العمل جروفرز؟».

«بخير. لا ركود هنا».

«قضيتك مع جيني نيترو، لقد أُغلقت. لن تزعجك مرة أخرى. سأرسل إليك فاتورة الحساب الأخير بالبريد».

«الحساب الأخير؟ أتحاول التلاعب بي؟».

«جروفرز، لقد أزحت الحلوة الفضائية من طريقك. عليك الآن أن تدفع حسابك».

«وهو كذلك، وهو كذلك، لكن كيف فعلت هذا؟».

«سر المهنة يا حلو».

«وهو كذلك، أظن أنني ممنون لك».

«لا تظن، فقط، كن ممنوناً وادفع حسابك وإلا سترقد في أحد صناديقك الصنوبر، أم تراك تفضّل خشب الجوز؟».

«حسناً، لنر..».

تنهّدت وأغلقت الخط.

رفعت قدميّ ووضعتهما أعلى المكتب. كنت أمضي قدماً. الآن لم

يتبق سوى أن أدقّ مؤخرة سيندي باس وأعثر على العصفور الأحمر. جيني نيترو الآن مشكلتي أنا بالطبع. أنا عميل نفسي. لكن سيلين وجروفرز مضيا. بطريقة ما شعرت أنني محترف حقاً. لكن قبل أن استرخي، دخلت السيدة موت ذهني مرة أخرى. كانت ما زالت بداخله.

رنّ جرس الهاتف، رفعت السماعة. كانت السيدة موت.

«ما زلت هنا يا بيلين».

«لماذا لا تأخذين إجازة يا حلوتي؟».

«لا أستطيع، إنني أستمتع بعملي للغاية».

«اسمعي، هل لي أن أسألك سؤالاً؟».

«بالطبع».

«أتعملين في الأرض فقط؟».

«ماذا تقصد؟».

«أقصد، هل يتضمن عملك.. مثلاً.. الكائنات الفضائية؟».

«بالطبع.. كائنات فضائية، ديدان، كلاب، براغيث، أسود، عناكب، كل ما يخطر في بالك».

«رائع».

«ما هو الرائع؟».

«إنك تعملين على الكائنات الفضائية».

«أنت تضجرني يا بيلين».

«يسعدني هذا يا حلوتي».

«اسمع، لدى عمل لأقوم به...».

«سؤال آخر فقط».

«هيا ميلاني.. ماذا؟».

«كيف تقضين على كائن فضائي؟».

«الأمر بسيط».

«الرصاص لا يجدي. ماذا تستخدمين؟».

«هذا سر المهنة يا بيلين».

«يمكنك إخباري يا حلوتي، سأحفظه في بئر عميق إلى الأبد».

قالت: «أيها السمين، سأهتم أنا بهذا الأمر نيابة عنك». ثم أنهت الاتصال.

أعدت سماعة الهاتف لموضعها، وأعدت قدميَّ على المكتب مرة أخرى. يا يسوع، ستة كائنات فضائية تجوس في الأرض، وتدرجني في قائمة مؤيدي قضيتها. يجب أن أبلغ السلطات. بالطبع، سيفيدني هذا للغاية. لكن يجب أن أحلّ هذا الأمر بنفسي. يبدو صعباً ولعيناً، يجب أن أفكر لبعض الوقت. رفعت غطاء زجاجة الفودكا ورشفت جرعة صغيرة. وفوق كل هذا، ما زال هناك العصفور الأحمر وسيندي باس. وجدت عملة ورميتها إلى أعلى: ملك، العصفور الأحمر؛ كتابة، سيندي باس. جاءت كتابة. ابتسمت وأسندت ظهري ورحت أفكر فيها: سيندي باس، سأدقّها.

٣٢

حسناً، للاحتفال بتقدمي كأفضل محقق خاص في لوس أنجلوس كلها تقريباً، أغلقت المكتب ونزلت عبر المصعد وخرجت إلى الشارع. حاولت أن أتجه جنوباً، فعلت، دخلت جادة صانسيت وتجولت هناك. مشكلة تلك الجادة المجاورة لي أن ليس فيها حانات كثيرة. واصلت السير إلى أن وجدت حانة أخيراً. مكان على مستوى. لم أشعر بالرغبة في الجلوس على أحد كراسي البار. جلست إلى مائدة لاثنين. ها هي النادلة. ترتدي تنورة قصيرة للغاية، كعب عالٍ، بلوزة شفافة وحمالة صدر محشوّة. كل شيء كان صغيراً عليها: ملابسها، والعالم، ومخّها. كان وجهها صلباً كالفولاذ. حين ابتسمت كان ذلك مؤلماً. آلمها وآلمني. ظلّت تبتسم. ابتسامة مزيّفة إلى حد اقشعر شعر ساعدي. أشحت ببصري بعيداً عنها.

«مرحباً حبيبي. ماذا تطلب؟».

لم أنظر إلى وجهها، نظرت إلى بطنها الذي كان مكشوفاً، ألصقت بسرّتها ورقة وردية صغيرة، وتحدّثت إلى الورقة الوردية.

«فودكا بالتونيك مع ليمون».

«أمرك يا حبيبي!».

ابتعدت تتبختر، حاولت بلا نجاح رجرجة ردفيها بشكل مثير.

شعرت باكتئاب على الفور. قلت لنفسي. لا تكتئب يا بيلين لا تكتئب.

بلا جدوى. كان الجميع منسحقين. منهزمين. ليس هناك من فائزين إلا ظاهرياً. كنا جميعاً نتسابق على الكثير من اللاشيء. يوم وراء يوم. البقاء هو الحاجة الوحيدة التي تبدو مهمة. هذا ليس كافياً والسيدة موت تنتظر. يصيبني الجنون حين أفكر في هذا.

قلت لنفسي لا تفكر في هذا يا بيلين.

بلا جدوى.

جاءت النادلة بكأسي. وضعتُ الحساب. أخذَته وقالت: «شكراً حبيبي!».

«انتظري. أعيدي إليَّ الباقي».

«لا يوجد باق».

«اعتبري بقشيشك في الحساب إذن».

فتحت عينيها على وسعهما، كانتا فارغتين. سألتني: «من تظن نفسك؟ راعي بقر لعيناً؟».

«ماذا يكون راعي البقر؟».

«ألا تعرف ماذا يكون راعي البقر اللعين؟».

«لا».

«إنه شخص يريد الركوب مجاناً».

«هل هذا ما تعتقدينه بنفسك؟».

«لا. هذا ما تردده البنات عنهم».

«أي بنات؟ راعيات البقر؟».

«مستر، ألديك حشرة في مؤخرتك أم ماذا؟».

«إنه على الأرجح «ماذا»».

سمعت صوتاً عالياً يقول: «**ماري لو. هل يضايقك هذا الحمار؟**».

كان ذلك الساقي. رجل ضئيل بحاجبين خنفسائيين متّصلين.

«لا تقلق يا آندي. سأتدبر أمر هذا الحمار».

قلت: «نعم ماري لو. لا بد أنك تعاملتِ مع الكثير من الحمير».

صاحت: «يا مصّاص الأيور».

رأيت صاحب الحاجبين الخنفسائيين يثب من فوق البار. حركة جيدة من رجل بحجمه. وضعت كأسي على المائدة بعنف ونهضت لمواجهته. تفاديت قبضته اليمنى وغرست ركبتي في محاشمه. سقط يتدحرج على الأرض. رفسته في مؤخرته وخرجت إلى جادة صانسيت.

كان حظي في الحانات يزداد سوءاً.

٣٣

وهكذا عدت إلى شقتي وشربت وانقضى ذاك اليوم، وتلك الليلة.

استيقظت عند الظهر تقريباً، تخلصت من بعض البراز، نظفت أسناني، حلقت ذقني. رحت أتأمّل. لم أشعر بأسوأ حال ولا بأفضل حال. ارتديت ملابسي. سلقت بيضة. شربت كوباً من عصير الطماطم والمزر[1]. غسلت البيضة بالماء البارد، قشّرتها، أكلتها، ثم صرت مستعداً كعادتي دائماً.

رفعت سماعة الهاتف واتصلت بجاك باس في مكتبه. أخبرته من أكون. لم يبدُ سعيداً بي. قلت له:

«جاك.. أتذكر ذاك الرجل الفرنسي الذي أخبرتك عنه؟».

«نعم. ماذا عنه؟».

«لقد أزحته من طريقك».

«كيف؟».

«لقد مات».

«جيد. أكان هو الذي تراه؟».

«حسناً. لقد كان على اتصال بها».

---

(١) نوع من البيرة.

«اتصال. ماذا يعني هذا بحق الجحيم؟».

«لا أريد أن أجرح مشاعرك».

«جَرِّبني يا بيلين».

«اسمع، أنا أحاول أن أدق مؤخرة سيندي، لهذا استأجرتني أليس كذلك؟».

«لا أعرف لماذا استأجرتك، أظنها كانت غلطة».

«جاك. لقد قضيت على الفرنسي. لقد مات».

«أين نقف الآن إذن؟».

«إنه لا يستطيع مضاجعتها».

«هل ضاجعها؟».

«جاك..».

«هل ضاجعتها أنت؟ كل هذا الكلام عن «دق مؤخرتها»! هل أنت منحرف؟».

«اسمع. إنني أتعقب ذيل سيندي جيداً، نحن نريد دليلاً قوياً».

«ها أنت ذا مرة أخرى!».

«نحن على وشك إنهاء القضية يا جاك. لن يطول الأمر. ثق بي».

«هناك آخرون غير الرجل الفرنسي إذن؟».

«أظنّ».

«تظنّ؟ تظنّ؟ اللعنة.. أنا أدفع لك جيداً. مرّت أسابيع وكل ما تخبرني به أن رجلاً فرنسياً مات وأنك «تظنّ»؟ أنت تدير العجلة فقط! أنا أريد حركة! أريد دليلاً! أريد الأمر كله على المكشوف!».

«خلال سبعة أيام يا جاك».

«أمهلك ستة أيام».

«ستة أيام يا جاك».

صمت. ثم تحدث مرة أخرى: «وهو كذلك، سأتوجّه إلى المطار بعد ساعة. لديّ عمل في شرق البلاد. سأعود بعد ستة أيام».

«كل شيء سيكون محلولاً يا صغير».

«لا تدعُني «صغير». ما حكاية «صغير» الخرائيّة هذه؟».

«مجرد مصطلح دارج..».

«نظّف هذه الفوضى وإلا سأراك في الجحيم، يا عاهر!».

«هل تكلّمني يا جاك؟».

كنت ممسكاً بسماعة ميتة. لقد أغلق الخط في وجهي. الحيوان. حسناً... دقّت ساعة العمل...

٣٤

هكذا، ها أنا ذا، توقفت بسيارتي خارج منزل باس، على مسافة ثلاثة مبانٍ. كان الوقت ليلاً، لا، كان مساءً، قرابة الثامنة مساءً. كانت سيارة سيندي المرسيدس الحمراء تقف أمام المنزل. كان لديّ حدس بإنني على وشك التقاط خيط ما. شيء ما سيحدث. ثمة رائحة في الهواء. أطفأت سيجاري. التقطت سماعة هاتف السيارة واتصلت لأعرف نتيجة الجولة التاسعة. خسرت مرة أخرى. الحياة مُنهِكة. شعرت باكتئاب، وضياع. آلمتني قدماي.

الأرجح أن سيندي في الداخل تشاهد شيئاً ما غبياً في التليفزيون، تضع ساقاً فوق الأخرى وتضحك من شيء ما تافه وسطحي. رحت أفكر في جيني نيترو ورفاقها الفضائيين الخمسة. يريدون إدراجي في قائمتهم. أنا لست للبيع. يجب أن أكشف هذه العصابة. لا بد أن ثمة طريقة. إن وجدت العصفور الأحمر ربما سيغني لي ويخبرني كيف أفعل هذا. هل جننت؟ هل يحدث كل هذا؟

رفعت سماعة الهاتف واتصلت بجون بارتون. ردّ.

«اسمع يا جون، أنا بيلين. أنا أواجه صعوبة في مسألة العصفور الأحمر. ربما من الأفضل أن تجد رجلاً آخر».

«لا يا بيلين. أنا أثق فيك، ستجده».

«أتظن ذلك حقاً؟».

«ليس لديّ أدنى شك».

«حسناً، سأظل أعمل على القضية إذن».

«عظيم».

«سأتصل بك إن توصّلت إلى شيء».

«افعل هذا. ليلة سعيدة». ثم أغلق الخط. رجل مؤدب.

أعدت إشعال سيجاري. كدت أبصقه حين رأيت سيندي تخرج من المنزل. سارت نحو سيارتها واستقلّتها.

يا حلوتي يا حلوتي. قُوديني إليه.

أدارت المحرك، أضاءت مصابيحها، خرجت من موقف السيارات الخاصّ بالمنزل. دارت دورة واسعة ثم اتجهت شمالاً. تتبعتها بمسافة بعض المباني. ثم انعطفت في الجادة الرئيسية، طريق باسيفيك كوست السريع تحديداً. اتجهتْ جنوباً. كنت خلفها بمسافة ثلاث سيارات تقريباً. عبرَت تقاطع طرق، وأوقفتني إشارة حمراء. اضطررت لكسر الإشارة. كان الأمر وشيكاً، لكنه مرّ بلا حوادث، سمعت أبواق السيارات وصوت يدعوني حماراً. لا إبداع في الناس.

صرت مرة أخرى على مسافة ثلاث سيارات منها. كانت في الحارة اليمنى. بدأت تُبطئ، ثم انعطفت في موقف سيارات تابع لنُزل. هَني ديونز موتيل[1]. رائع. أوقَفت السيارة في الخانة رقم ٩. قدت أنا حتى خانة ٧، أوقفت سيارتي وأطفأت مصابيحي وانتظرت.

---

(١) نزل الكثبان العسلية.

ترجَّلَت من سيارتها، سارت في الممر حتى الباب وطرقته. انفتح الباب وظهر رجل.

آه، سيندي!

وقف الرجل في الضوء وكان بإمكاني تمييز ملامحه. بدا في هيئة جيّدة. لا أعني بالنسبة لي. لكن بالنسبة لها، لا بدّ أنه كذلك. كان شاباً. وجه أبيض ناعم بحاجبين رفيعين، شعره كثيف. بدا أنه في الواقع يعقصه كذيل خنزير صغير. أتعرفون هذا النوع؟ بل يضفره. مغفّل حقيقي. تعانقا على عتبة الباب. قُبلة تقريباً. سمعتها تضحك ثم دخلت وانغلق الباب.

أخذت كاميرتي وتوجهت نحو مكتب الاستقبال. دخلت. لا أحد. كان هناك مكتب صغير. جرس. ضغطتُ على الجرس. لا شيء. ضغطت عليه بقوّة، ست مرات.

جاء أحدهم من الداخل. ضرّاط عجوز. حافي القدمين ويرتدي منامة طويلة وقلنسوة. قلت له:

«آه ها. تستعد لنوم عجائزي جيد ها؟».

«ربما نعم وربما لا. ماذا تريد؟».

«لا أقصد إهانة سيدي. أحتاج غرفة. ألديك واحدة شاغرة؟».

«أأنت قوّاد؟».

«أوه. لا يا سيدي».

«أتبيع مخدرات؟».

«لا سيدي».

«ليتك كنت تفعل، أنا بحاجة لبعض الكوك[1]».

«أنا مندوب مبيعات، أبيع الكتاب المقدّس يا سيدي».

«هذا مقرف!».

«أحاول نشر الكلمة فقط».

«حسناً، لا تحاول نشر هذا الخراء حولي».

«كما تشاء يا سيدي».

«عظيم».

«حسناً يا سيدي، أحتاج غرفة».

«لدينا الغرفة رقم ٨ والغرفة رقم ٣».

«هل قلت ٨؟».

«قلت ٨ و٣، ألا تسمع؟».

«سآخذ رقم ٨».

«٣٥ دولاراً نقداً».

سحبت المبلغ من المحفظة. انتزعه مني، وألقى إليّ بمفتاح الغرفة بعنف.

«ألا يوجد إيصال؟».

«ماذا؟».

«إ ي ص ا ل».

تهجّاها.

---

(١) الكوكايين.

«لا أستطيع».

«لن تحصل عليه إذن».

أخذت المفتاح وخرجت من هناك، سرت حتى غرفة رقم ٨، وفتحت بابها. مكان لطيف، إن كنت متشرِّداً.

وجدت كوباً في المطبخ. أخذته ووضعته مقلوباً على الحائط الفاصل بين الغرفة ٨ والغرفة ٩. حظ. بإمكاني سماعهما. سمعت سيندي باس تقول: «بيلي. دعنا لا نستعجل.. أريد أن أتحدث معك قليلاً أولاً».

«سنتحدث في ما بعد، لديّ ماسورة البندقية هذه هنا ويجب أن أفعل شيئاً بخصوصه. أريد لحماً، لا كلاماً!».

«أريد أن أغتسل أولاً يا بيلي».

«تغتسلي؟ ماذا كنتِ تفعلين؟ تعملين في الحديقة؟».

«أوه بيلي. أنت مضحك جداً».

«حسناً. اغتسلي. سأرش بعض الماء المثلّج على هذه الكوبرا!».

«أوه بيلي. هاهاها!».

ابتسمتُ لأول مرة منذ أسابيع.

كنتُ على وشك أن أدقها.

٣٥

أبقيت الكوب على الحائط أتصنّت. سمعت صوت الماء في الحمام. المسكين باس. كان محقاً. لكن الجميع محقون، ومخطئون، وكلهم مقلوبون رأساً على عقب. فيمَ يهم حقاً من ضاجع من؟ الأمر كله في النهاية في غاية الرتابة. نيك نيك نيك. حسناً. الناس يرتبطون. ما إن يتقطع الحبل السري، تراهم يرتبطون بأشياء أخرى. شكل، صوت، جنس، مال، سراب، أمهات، استمناءات، قتل، وصداع خُمار في اليوم التالي للإجازة.

تركت الكوب جانباً ومددت يدي في جيب معطفي، أخذت باينت الجِن، رشفت جرعة صغيرة. هذا دائماً ما ينقّي الذهن من حشراته.

بدأت أفكر في مهنة أخرى. ها أنا على وشك اقتحام الغرفة وتصوير مشهد نكاح وليست لديّ الرغبة في ذلك. الأمر مجرّد عمل، لدفع الإيجار، لدفع ثمن الخمر، في انتظار اليوم الأخير أو الليلة الأخيرة، قتلاً للوقت. ياللهراء. كان يجب أن أكون فيلسوفاً عظيماً. لأخبرتهم كم نحن حمقى إذ نقف هنا نستهلك الهواء داخلاً خارجاً من رئاتنا.

اللعنة. صار مزاجي كدراً. رشفت جرعة جِن صغيرة أخرى ثم وضعت الكوب على الحائط مجدداً. لا بد أنها خرجت لتوها من الحمام. سمعته يقول:

«يا للمسيح المقدَّس، إن صدرك كبير كلاعبي المصارعة!».

«أوه بيلي، أتظن ذلك حقاً؟».

«هذا ما قلته حالاً ألم تسمعي؟».

«أنت تقول كلاماً جميلاً يا بيلي».

«أقصد انظري إلى حجم صدركِ! كان يجب أن تقعي على الأرض من وزنهما، لكن أعتقد أن مؤخرتك الكبيرة تسندك من الخلف».

«أوه.. ليست لديّ مؤخرة كبيرة يا بيلي».

«صغيرتي، هذه ليست مؤخرة، إنها مقطورة مليئة بالجيلي والمربى والزلابية».

«لكن ماذا عني أنا بيلي؟ عمّا بداخلي؟».

«ألا ترين هذا الشيء يا حلوتي وهو ينبض ويقفز أمامي؟ سيكون في داخلك حالاً!».

«بيلي.. أظن أنني غيّرت رأيي».

«صغيرتي أنتِ ليس لك رأي لتغييره! تعالي هنا! تسلقي **سلم المجد** هذا!».

وضعت الكوب جانباً، أخذت كاميرتي، تسللت خارج الباب وسرت نحو شرفة الغرفة رقم ٩. كان قفل بابهما سهلاً. فتحته ببطاقتي الفيزا.

سمعت زنبركات الفراش تتوسل الرحمة. شغّلت الكاميرا واقتحمت. صوّرت المشهد. كان بيلي يثير ضجة عشر أرانب. لاحظ وجودي بطريقة ما، فاستدار وقفز على الأرض، كان فاغر الفم، مذهولاً تماماً، ثم حانقاً تماماً، أمر طبيعي.

نظر إليّ وقال: «خراء، ما هذا؟ من هذا العاهر؟».

قالت سيندي وهي جالسة في الفراش: «إنه محقق خاص يا بيلي. ومجنون. اقتحم علينا أنا وجاك خلوتنا من قبل ليصوّرنا. إنه معتوه حقاً يا بيلي».

نظرت إليها وقلت: «اخرسي يا سيندي! انتهى كل شيء. أخيراً دققت مؤخرتك!».

تحرك بيلي نحوي قائلاً: «هيه يا رفيق أتظن إنني سأدعك تخرج من هنا حياً؟».

«أوه. نعم أقسم لك بالجحيم أيها الفتى بيلي، لن تواجهني أدنى مشكلة في الخروج من هنا. لا مشاكل بالمرة».

«من قال لك هذا؟».

«صديقي هنا». أجبته وأنا أسحب مسدسي الـ٣٢ ملم من قرابه المعلق بكتفي.

«هذا الشيء اللعين لن يمنعني عنك».

«جرّب إذن يا أهبل!».

ظل يتحرك نحوي ببطء. فقلت له: «لقد قتلت ثلاثة أيها الفتى بيلي والرابع لن يتسبّب لي في خسارة أكبر!».

ابتسم قائلاً وهو ما يزال يقترب مني ببطء: «كذّاب، كذّاب، رؤية سروال أمك عذاب».

«خطوة واحدة أخرى يا مخّ الفسوة وسينتهي أمرك».

خطا الخطوة، فأطلقت النار.

وقف أمامي بلا حراك، ثم مد يده إلى سرّته وأخرج منها الرصاصة.

لم يكن ثمة قطرة دم واحدة ولا حتى كدمة. قال: «الرصاص لا يعني لي شيئاً، ولا أنت أيضاً».

أخذ المسدس من يدي وألقى به في أقصى الغرفة وقال: «الآن، أنا وأنت فقط».

«انظر يا رفيق، لنتحدث في الأمر. خذ الكاميرا. سأتقاعد وأترك هذا العمل. لن تراني مرة أخرى أبداً».

«أعرف ذلك، لأنني سأقتلك».

«نعم». قالت سيندي من على الفراش. «اقتل هذا اللص القذر!».

نظرت إليها وقلت: «لا تتدخّلي يا سيندي. هذا الأمر بيني وبين السيد المحترم». ثم نظرت إلى بيلي: «أليس كذلك يا بيلي؟».

قال بيلي: «صحيح». ثم رفعني وقذفني إلى أقصى الغرفة. ارتطمت بالحائط وسقطت على الأرض. قلت له: «بيلي، دعنا لا ندع مؤخرة كبيرة دخلها نصف رجال البلد تسبب بيننا خصومة!».

ضحك. وتوجّه نحوي.

٣٦

ثم خطرت لي الفكرة. الرجل أحد المخلوقات الفضائية. لهذا لم تؤثر فيه الرصاصة.

نهضت واحتميت بظهري بالحائط وصحت فيه: «عرفت حقيقتك يا بيلي».

توقف وقال: «حقاً، أخبرني بها إذن».

«أنت مخلوق فضائي!».

ضحكت سيندي وقالت: «قلت لك إنه معتوه!».

نظرت إليها وقلت: «هذا الرجل ليس سوى ثعبان بفراء وعين واحدة كبيرة. إنه يتخفّى في هيئة آدمية فقط، لكنها وهم».

وقف بيلي جامداً يحدق فيّ. سألتُها: «أين قابلته يا سيندي؟».

«في حانة. لكنني لا أصدق خراءك هذا، إنه ليس مخلوقاً فضائياً».

«اسأليه».

ضحكت مرة أخرى وقالت: «أوكي بيلي، هل أنت مخلوق فضائي؟».

قال: «ها؟».

قلت لسيندي: «أترين؟ أترين؟».

نظر إليها بيلي وقال: «أتصدقين هذا المعتوه؟».

قالت: «بالطبع لا يا بيلي، هيا انتهِ منه الآن».

«أوكي يا حلوة».

تحرك بيلي نحوي.. حينها ومض ضوء بنفسجي وظهرت جيني نيترو في الغرفة.

قال بيلي: «جيني.. أنا..».

قالت جيني: «اخرس أيها الشاذ».

سألَتْ سيندي وكانت ترتدي ملابسها: «ماذا يحدث هنا بحق الجحيم؟» وظل بيلي عاري البيضتين والمؤخرة.

قالت جيني: «أيها الزاني. لقد قلت لك لا اختلاط بالآدميين!».

«حبيبتي. لم أستطع كبح نفسي. لقد هِجت. كنت أجلس في الحانة ذات ليلة ودخلت هذه المخلوقة».

«الأوامر تنصّ على أنّ لا جنس مع أبناء الأرض!».

«جيني، أنتِ تعرفين أنني أحبك أنتِ، لكنك انشغلتِ عني وكل شيء..».

«لقد نلت فرصتك بيلي». قالت وهي تشير نحوه بيدها اليمنى.

«لا يا جيني لا!».

ومض ضوء بنفسجي وتحول بيلي فوراً إلى ثعبان بفراء بعين واحدة مخضّلة وأخذ يتلوى بسرعة على الأرض. مرة أخرى، أشارت جيني نحوه بيدها اليمنى، فصدر أزيز وومض ضوء بنفسجي واختفى الكائن الفضائي بيلي.

قالت سيندي: «أنا لا أصدق ما أراه».

قلت لها: «نعم.. أعرف».

ثم نظرت جيني إليّ وقالت: «لا تنس يا بيلين، لقد اخترناك من أجل القضية، قضية زاروس».

«حقاً. وكيف لي أن أنسى».

ثم ومض الضوء البنفسجي للمرة الثالثة واختفت جيني.

كانت سيندي الآن بكامل ملابسها لكنها في حالة ذهول.

«لا أصدق ما رأيته هنا».

«حبيبتي، لقد استأجرني جاك لأنظف فوضاكِ، وهذا ما فعلته».

«يجب أن أخرج من هنا».

«نعم. ولا تنسي ما لديّ في الكاميرا هنا، لا تتلاعبي وإلا سلّمته لجاك».

قالت: «وهو كذلك»، ثم تنهدت وأضافت: «أنت الفائز».

«أنا أعظم محقق خاص في إل أيه، يجب أن تكوني متأكدة من هذا الآن».

«اسمع يا بيلين، لديّ شيء لك مقابل هذه الكاميرا».

«ها؟».

«أنت تعرف ماذا أقصد».

«لا، لا يا سيندي، لن تستطيعي شرائي، لكنها محاولة جيدة مع ذلك».

«حسناً، ضاجع نفسك أيها الفتى السمين». قالت ثم استدارت وسارت نحو الباب. رأيت هذين الردفين المذهلين يتحركان، فقلت: «سيندي.. انتظري لحظة».

استدارت نحوي وابتسمت قائلة: «ماذا؟».

«لا عليكِ، اذهبي».

ثم خرجت.

دخلت الحمام وأرحت نفسي، ولا أقصد حركة الأمعاء، لكنني كنت محترفاً حقيقياً. لقد حللت قضية أخرى.

٣٧

في اليوم التالي في المكتب، هاتفت جاك باس.

«جاك، أما زلت تريد تطليق سيندي؟».

«لا أعرف، ألديك دليل ضدّها؟».

«سأصوغ لك الأمر بطريقة بسيطة، الرجلان اللذان كانت على اتصال بهما قد ماتا الآن».

«اتصال؟ ماذا بحق الجحيم تعني باتصال؟».

«جاك، أرجوك، هذان الرجلان قد ماتا الآن، كان أحدهما فرنسياً والآخر كائناً فضائياً».

«كائناً فضائياً؟ ما هذا الهراء الذي تأتيني به؟».

«هذا ليس هراءً جاك، لقد غزت الأرض كائنات فضائية عدة من زاروس، قابلت سيندي أحدهم في حانة. كان شاباً موفور الصحة حقاً».

«هل مات الآن؟».

«نعم، هو والرجل الفرنسي، كما قلت».

«هل قتلتهما؟».

«جاك، هذان الرجلان قد رحلا. سيندي لن تلعب بذيلها مرة أخرى. استرح الآن».

«كيف أتأكد أنها لن تلعب بذيلها مرة أخرى؟».

«لا تقلق. أنا واثق من هذا. لن تلعب بذيلها».

«لديك شيء ما على كاميرتك لا تريدك أن تَريني إياه، أليس كذلك؟».

«ربما نعم وربما لا، دعنا فقط نقول إنني سأدق مؤخرتها إن لعبت بذيلها».

«لكنني أريدها أن تكون معي لأنها تحبني وليس لأنك تبتزّها».

«ابتزاز، اهتزاز، جاك، إنها لن تلعب بذيلها مرة أخرى وانتهينا، لقد تخلّصت ممن كانت على اتصال بهم، وستحتفظ بسروالها الداخلي حول خصرها. ماذا تريد غير ذلك؟ لعلها حتى تتعلم كيف تحبك. امنحها الوقت. إنها صغيرة، أرادت أن تغامر، ماذا في ذلك بحق الجحيم؟».

«تغامر مع كائن فضائي؟».

«افرح، لن يعلم أحد شيئاً عن الأمر أبداً. كأن شيئاً لم يكن تقريباً».

«لكنه حدث، أنت تقول إنه موفور الصحة؟ كيف هذا؟».

«يصعب القول.. كان يلعب..».

«أكنت تراقب؟».

«لقد أوقفتهما».

«وماذا عن الرجل الفرنسي؟ أكان موفور الصحة أيضاً؟».

«جاك، هذان الرجلان ماتا. انس الأمر. ستصلك فاتورتي عبر البريد خلال يومين».

«شيء ما في كل هذا لا يُريحني».

«إنها لن تلعب بذيلها مرة أخرى يا جاك».

«وماذا لو فعلت؟».

«لن تفعل لأنها تعلم أن بإمكاني دق مؤخرتها».

«ها أنت تقولها مرة أخرى، أنت لم تضاجعها أليس كذلك؟».

«جاك، جاك، جاك، أرجوك، أنا محترف».

«وهذان الرجلان ماتا، كيف أتأكد من هذا؟».

«ستتأكد من سلوكها. الآن كف عن القلق. ألديك شيء آخر تريدني أن أحلّه لك؟ أنا أفضل محقق في إل أيه».

«ليس لديّ أي شيء الآن».

«أوكي جاك، طاب يومك».

«طبعاً، طبعاً..».

أنهيت الاتصال.

فتحت درج المكتب وأخرجت زجاجة الفودكا، رشفت جرعة. الأمور تسير كما ينبغي. ليس عليّ الآن سوى أن أجد العصفور الأحمر. ثم أتوقف عن الاختلاط بالكائنات الفضائية. أو السيدة موت.

رشفت جرعة فودكا أخرى. وسمحت لنفسي بالاسترخاء. لبعض الوقت.

٣٨

هاتفتُ جون بارتون. كن يدير مطبعة في شمال البلاد.

«معك بيلين، جون..».

«يسعدني سماع صوتك يا نِك، كيف تسير الأمور؟».

«ببطء نوعاً ما يا جون. أريد معلومات أخرى عن ذاك العصفور الأحمر».

«حسناً. نحن نريد أن نجعله شعاراً لشركتنا. أن نجعله مشهوراً حقاً. لكنني سمعت الآن أن هناك عصفوراً أحمر آخر في مكان ما. نريده إن وُجد».

«أهذا كل ما لديك؟».

«حسن، ربما أيضاً... مجرّد حدس..».

«هل رأيت هذا العصفور الأحمر من قبل؟».

«سمعت إنه شوهد».

«سمعت؟ أين سمعت؟».

«مصادر سرية. لا أستطيع البوح بالكثير».

«لنفرض أني وجدت هذا الطائر، ماذا تريدني أن أفعل به، أن أضعه في قفص؟».

«لا. جِئني فقط بدليل دامغ على وجوده، لإشباع فضولي فحسب».

«لنفرض أنني لم أجده إطلاقاً؟».

«إن كان موجوداً ستجده. أنا أثق فيك».

«اسمع، هذه أوسخ قضية حقّقت فيها في حياتي».

«لقد قلت دائماً للآخرين إنك محقق عظيم. الآن ستثبت لي هذا. ستجد العصفور الأحمر».

«وهو كذلك يا جون. سأعمل على الأمر. لكنني لم أعد طفلاً الآن. صرت أستيقظ متعباً، أظن أنني فقدت بعض طاقتي».

«ما زلت في عِزّ شبابك. الأمر في نطاق قدرتك».

«وهو كذلك يا جون، سأحاول».

«عظيم!».

وضعت سماعة الهاتف. «حسن، هذا هو الأمر. لكن من أين أبدأ؟».

قررت أن أحاول من أقرب حانة.

كانت الساعة قرابة الثالثة بعد الظهر. جلست على أحد كراسي البار. جاءني الساقي. رجل يبدو وحيداً. بلا جفنين. مرسوم على أظافره صلبان صغيرة خضراء. مجنون نوعاً ما. لا سبيل لتفادي هؤلاء. أغلب العالم مجانين، ومن ليس بمجنون فهو غاضب. ومن ليس بمجنون ولا بغاضب فهو غبي فقط. ليست لي فرصة. ليس لي خَيار. سأتشبث فقط وأنتظر الآخرة. الأمر شاق. أشقّ مما يمكن تخيله. أجبرت نفسي على النظر إلى الساقي.

قلت: «ويسكي وماء».

ظل واقفاً بلا حراك.

كررت: «ويسكي وماء».

تمتم: «أوه»، ثم خبّ مبتعداً.

لمحتها بزاوية عيني تدخل، لماذا يقولون «زاوية عيني»؟ ليس للعين زوايا. على كل حال، رأيتها تدخل. صديقة قديمة. جلست على كرسي بار إلى يميني.

قالت: «مرحباً أيها الأحمق.. أتشتري؟».

«بالطبع يا صغيرة».

كانت السيدة موت.

ناديت على الساقي: «هيي يا فتى! اجعلهما اثنين».

سأل: «ماذا؟».

«اجعلهما كأسين من الويسكي والماء من فضلك».

«آها. أوكي».

سألت السيدة: «ما أخبارك أيها الفتى السمين؟».

«أحلّ القضايا، من باب العادة».

«أتعني كعادتك البطيئة أم كعادتك التي ليست كعادتك؟».

«لا يا صغيرة، لا، أتفهمين، أنا أفضل محقق في إل أيه».

«هذا ليس بالكثير».

«أفضل من تقليب الزبد باليد اليسرى».

«لا تتطاول أيها الفتى السمين وإلا أخرجتك من الوعاء كالعجين الخفيف».

«آسف يا صغيرتي، إن أعصابي محطَّمة. ربما سيساعدني الشراب».

كان الساقي يضع الكأسين أمامنا.

سألته السيدة: «ماذا حدث لجفنيك؟».

«هبّ فيّ سخّان الغاز هذا الصباح».

«كيف ستنام الليلة؟».

«سألف منشفة حول رأسي».

سألته أنا: «ألا يمكنك فعل هذا الآن؟».

سألني: «لماذا؟».

«لا عليك..». دفعت حساب الكأسين.

رفعت كأسي، ورفعت السيدة كأسها وقالت: «نخب طول العمر».

«نعم. نخب طول العمر».

قرعنا كأسينا وشربنا.

طلبت كأسين آخرين...

كان قد مضى على جلوسنا هناك نحو نصف الساعة حين دخل شخص آخر. امرأة أخرى. تجوّلت حولنا ثم جلست على كرسيّ بار إلى يساري. امرأتان يعني مضاعفة متاعب امرأة واحدة. لديّ الآن متاعب على الجانبين. كنت بين المطرقة والسندان. الأبله.

كانت المرأة الأخرى جيني نيترو.

أشرت للساقي أن يعد كأساً أخرى من الويسكي بالماء.

قالت جيني هامسة: «نِكي، يجب أن أتحدّث معك، مَنْ هذه العاهرة التي تجلس بجانبك؟».

قلت لها: «لن يخطر في بالك أبداً».

ثم همست لي السيدة موت: «من هذه العاهرة التي بجانبك؟».

قلت لها: «لن يخطر في بالك أبداً».

وصل المشروب وتجرّعته جيني كله دفعة واحدة.

قلت: «حسناً، أظن أنه حان الوقت لأعرّفكما على بعض...».

التفتُّ للسيدة موت قائلاً: «سيدتي، هذه جيني نيترو..».

ثم التفتّ لجيني وقلت: «جيني هذه السيدة... السيدة..».

أضافت السيدة موت: «السيدة حرارة».

حدّقت إحداهما في الأخرى. توقعت أن يصير الأمر الآن ممتعاً حقاً.

أشرت إلى الساقي أن يأتينا بجولة مشروبات أخرى.

٣٩

ها أنا ذا.. كنت، فعلياً، بين الفضاء والموت، كلاهما في هيئة امرأة. كيف النجاة؟ وكان عليّ في الوقت نفسه أن أجد عصفوراً أحمر قد يكون ليس له وجود من الأساس. شعرت بغرابة كل شيء. لم أتوقّع قط أن أتورّط على هذا النحو. لم أكد أفهم سبب كل هذا. ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟.

العبها ببرود أيها الأحمق.. جاءتني الإجابة.

أوكي.

وصلت الكؤوس.

«حسناً يا سيدتيّ. في صحتكما!».

قرعنا كؤوسنا وارتشفنا جرعة.

لماذا لم أكن مجرد رجل يجلس لمشاهدة مباراة بيسبول ولا يشغله سوى نتيجتها؟ لماذا لم أكن طبّاخاً تافهاً يقلي البيض ويتصرف بلا مبالاة؟ لماذا لم أكن ذبابة تزحف على معصم أحدهم بترفّع عن كلّ ما يحيط بها؟ لماذا لم أكن ديكاً في حظيرة دجاج ألتقط الحبّ من الأرض؟ لماذا هذا؟

لكزتني جيني بمرفقها وهمست: «بيلين.. يجب أن أتحدث معك..».

وضعت الحساب على البار. ثم نظرت إلى السيدة موت قائلاً:

«أرجو ألا يثير هذا غضبك ولكن..».

«أعرف. أيها الفتى السمين، عليك أن تتحدث مع السيدة على انفراد. ولماذا سيثير غضبي، أنا لست مغرمة بك».

«لكنك تبدين دائماً وكأنك تحومين حولي يا سيدتي».

«أنا أحوم حول الجميع يا نِك، أنت فقط أكثر إحساساً بي».

«نعم، نعم».

«حسنا لقد ساعدتني في مسألة سيلين».

«نعم، سيلين..».

«لذلك سأتركك قليلاً مع امرأتك. لكن قليلاً فقط. ما بيننا لم ينته بعد، سأراك قريباً إذن».

«لا شك في هذا يا سيدة حرارة».

أنهت كأسها ونهضت من على الكرسي. استدارت وسارت نحو الباب. كان جمالها آسراً. ثم اختفت.

جاء الساقي ليأخذ ماله. سألني: «من هذه؟ لقد دوّختني وهي تسير».

«كن شاكراً أنها مجرد دوخة».

«ماذا تقصد؟».

«لن تصدقني إن أخبرتك».

«جرّبني».

«لست مضطراً لذلك. الآن اسمح لنا ببعض الخصوصية هنا. أريد أن أتحدث مع السيدة».

«وهو كذلك ولكن اخبرني بشيء واحد فقط».

«أوكي».

«كيف لرجل سمين وقبيح مثلك أن يحظى بكل هذا؟».

«لأنني أضع زبدة الحليب على بسكوتي. الآن، ابتعد من هنا بحق الجحيم».

«لا تستظرف يا رفيق».

«أنت الذي سألت».

«لم يكن هناك داع لأن تكون مقرفاً».

«إن كنت تظن هذا مقرفاً فانتظر هنا وسترى المقرف بحق».

«أيها المنيك».

«هذا ذكاء منك.. الآن ابتعد من هنا طالما بإمكانك السير».

سار ببطء حتى الطرف الآخر من البار، وقف هناك لحظة، ثم هرش مؤخرته.

استدرت نحو جيني: «آسف يا صغيرتي لكن يبدو أنني أخوض تلك المحادثات العقيمة مع كل ساقٍ أقابله تقريباً».

«لا بأس يا بيلين».

بدت حزينة.

قالت: «بيلين، يبدو أنني مضطرة للرحيل».

«أوه. لا بأس بهذا. لكن خذي كأساً أخرى من أجل الطريق».

«لا. أعني أنني مضطرة لأن أرحل عن.. الناس الذين معي مضطرون للرحيل... عن الأرض. لا أعرف لماذا، لكنني معجبة بك بشكل ما».

قلت ضاحكاً: «هذا مفهوم.. لكن لماذا على عُصبتك أن ترحل عن الأرض؟».

«لقد فكرنا في الأمر، الأمر بشع حقاً، لم نعد نريد أن نحتل الأرض».

ـ «ما هو البشع حقاً يا جيني؟».

«الأرض، الدخان، الجريمة، الهواء المسمَّم، الماء المسمم، الطعام المسمم، الكراهية، اليأس، كل شيء. الشيء الوحيد الجميل في الأرض هو الحيوانات، وهي تُقتَل الآن، ستنقرض كلّها قريباً ما عدا الفئران وخيول السباق. أمر محزن جداً، لا عجب أنك تفرطُ في الشّراب».

«نعم يا جيني، ولا تنسَي مخزوننا الذري».

«نعم لقد غرقتم في الوحل عميقاً جداً، على ما يبدو».

«نعم، قد نختفي بعد يومين أو نستمر لألف عام أخرى. لا نعلم ماذا سيحدث، لذلك يصعب على الكثير من الناس أن يهتموا بأيّ شيء».

«سأفتقدك يا بيلين، وسأفتقد الحيوانات..».

«لا ألومك على الرحيل يا جيني».

رأيت في عينيها دموعاً. فقلت لها: «لا تبكي يا جيني أرجوكِ.. اللعنة على كل شيء..».

رفعت كأسها وشربتها كلها، نظرت إليّ بعينين لم أرَ ولن أرَى مثلهما في حياتي مرة أخرى.

ابتسمت قائلة: «الوداع أيها الفتى السمين».

ثم اختفت.

٤٠

وهكذا، عدت إلى مكتبي في اليوم التالي. بقيت مهمة واحدة: العثور على العصفور الأحمر. لم يعد أحد يطرق بابي ومعه مهمّة جديدة من أجلي. كان هذا جيداً. وقت التنظيم. تنظيم نفسي. إجمالاً، فعلتُ أغلب ما كنت قد قررت أن أفعله في حياتي. قمت بخطوات جيدة. لم أنم في الشارع ليلاً. بالطبع ثمة أشخاص طيبون ينامون في الشارع. ليسوا حمقى، هم لا يناسبون الآليات الضرورية للحظة الراهنة فقط. وهذه الآليات في تتبدّل على الدوام. هذا نظام بائس، وإذا وجدت نفسك نائماً في فراشك فهذا في حد ذاته انتصار ثمين على القوى. لقد حالفني الحظ، لكن لم تكن بعض تلك الخطوات التي قمت بها بلا تفكير تماماً. لكن عموماً إنّه عالم فظيع، أشعر فيه بالحزن، أغلب الأوقات، على أغلب من يعيشون فيه.

حسناً، إلى الجحيم. أخرجت الفودكا ورشفت جرعة.

أفضل أوقات الحياة هي غالباً الأوقات التي لا تفعل فيها شيئاً على الإطلاق، بل تلوكها فقط، تمضغها. أعني، لنفرض مثلاً أنك قررت أن كلّ شيء تافه، فلا يمكنه أن يكون تافهاً تماماً لأنك تدرك أنه تافه ولأن إدراكك هذا في حد ذاته يكاد يمنحه معنى. أتدرك ما أعنيه؟ تشاؤل.

العصفور الأحمر. كأنه البحث عن الكأس المقدسة. ربما كانت المياه عميقة بالنّسبة إليّ، وحارّةً أيضاً.

رشفت جرعة فودكا أخرى.

سمعتُ طرقاً على الباب. أنزلت قدميّ من المكتب.

«ادخل».

انفتح الباب ووقف هناك رجل، عريض قليلاً، يرتدي أسمالاً. فاحت منه رائحة كأنها رائحة غاز، لست متأكداً. له عينان صغيرتان وضيّقتان. تحرَّك نحوي بزاوية مائلة، ثم توقف، عند حافة المكتب تماماً وانحنى إلى الأمام. ارتعش رأسه رعشة لا إرادية خفيفة.

قال: «بيلين».

أجبت: «ربما».

قال: «لدي كل ما تحتاجه».

«جيد، الآن خذه كله وأخرج من هنا بحق الجحيم».

«على مهلك يا بيلين. أنا أعرف كلمة السر».

«حقاً؟ وما هي؟».

«العصفور الأحمر».

«أخبرني بالمزيد».

«نحن نعرف أنك تبحث عنه».

«نحن.. ها؟ ومن هم الـ «نحن»؟».

«لا أستطيع إخبارك».

نهضت ودرت حول المكتب وأمسكت به من قميصه الرث وقلت:

«لنفرض أني أجبرتك على إخباري؟ لنفرض أنّي واصلتُ ركلك حتّى تخبرني».

«لن أستطيع. لأنني لا أعرف».

بطريقة ما صدّقته وتركته، كاد يسقط على الأرض. درت مرة أخرى وعدت أجلس خلف المكتب.

قال: «اسمي عاموس، عاموس ريدسديل. أستطيع أن أدلك على طريق العصفور. هل تريد؟».

«ماذا؟».

«عنواناً. إنها تعرف عن العصفور».

«بكم؟».

«٧٥ دولاراً».

«ضاجع نفسك يا عاموس».

«أوكي، أنت لا تريده؟ يجب أن أذهب. يجب أن أصل إلى الجولة الأولى. تحصّلتُ على إكراميّة للسباق اليوميّ».

«٥٠ دولاراً».

«٦٠».

«وهو كذلك، ناولني العنوان».

أخرجت من محفظتي ثلاث ورقات نقدية من فئة العشرين، وأعطاني قطعة ورق. فتحتها وقرأتها: ديجا فاونتين، شقة ٩. ٣٢٣٤ طريق رودسون دبليو. إل. أيه.

قلت له: «اسمع يا عاموس، يمكنك أن تكتب أي خراء تريده هنا، كيف أعرف أنه صحيح؟».

«اذهب إلى هناك فقط يا بيلين. إنه صحيح».

«الأفضل لمؤخرتك يا عاموس أن يكون صحيحاً».

قال »يجب أن أصل إلى الجولة الأولى«. واستدار وسار نحو الباب واختفى.

جلست هناك، نقصت منّي ٦٠ دولاراً، وبالمقابل كانت في يدي قطعة ورق.

٤١

انتظرت حلول الليل، قدت سيارتي إلى العنوان. ركنتها وتأمّلت حولي. حيّ لطيف. تعريف الحي اللطيف: مكان ليس بمقدورك السكن فيه. رشفت جرعة فودكا، ترجّلت من السيارة، أقفلتها وسرت حتى مدخل البناية. ضغطت على الزر المجاور لبطاقة اسم ديجا فاونتين. جاءني صوت حلو وحاد قليلاً: »نعم؟«.

جئت لأقابل ديجا فاونتين، بخصوص العصفور الأحمر. أرسلني عاموس ريدسديل. اسمي نِك بيلين».

«لا أعرف عمّا تتحدث بحق الجحيم يا سيّد».

«اللعنة».

«ماذا؟».

«لا شيء. لقد نصبوا عليّ».

«كنت أمزح معك فقط يا نِكي. تفضّل بالدخول».

سمعت صوت أزيز عالٍ، فدفعت باب المدخل فانفتح. سرت فوق السجادة البلشية إلى أن وجدت شقة رقم ٩. ما بال الرقم ٩. ثمة شيء ما خطير فيه. لكنني أشعر بالقلق من معظم الأرقام. لا أحب سوى الأرقام ٣ و٧ و٨ أو تركيباتها.

ضغطت على الجرس، سمعت صوت خطوات ثم انفتح الباب.

كانت جميلة ترتدي ثوباً أحمر. عيناها خضراوان. شعرها طويل بنّي داكن. شابة. راقية. مؤخّرة. رائحة نعناع. شفتاها تبتسمان. قالت:

«مستر بيلين، تفضل بالدخول».

سرت خلفها إلى إحدى الغرف. ثم شعرت بشيء ما صلب في ظهري.

«لا تتحرك، يا ابن القحبة! ارفع ذراعيك إلى أعلى! لنرَ إن كنت تطال السقف!».

«هل أنت أسود؟».

«ماذا؟».

«السود فقط من يقولون «ابن القحبة»».

كان حينها يقوم بتفتيشي. وجد مسدسي فأخذه وقال: «كل شيء تمام، يمكنك أن تستدير الآن مستر بيلين».

استدرت ونظرت إليه، كان رجلاً كبيراً لكنه أبيض. قلت له: «لكنك أبيض».

«وأنت كذلك».

«حسناً، أنا ابن قحبة».

«إنه شأنك، ستستعيد مسدسك عندما تغادر».

سرت خلف ديجا إلى غرفة أخرى، أشارت إليّ بالجلوس على مقعد.

كانت غرفة كبيرة وباردة، يسودها الشعور بالخطر.

جلست ديجا على الأريكة، سحبت سيجاراً صغيراً، أخرجته من علبته، لعقته برقة، قضمت طرفه، أشعلته، أطلقت دائرة دخان زرقاء

شهوانية. تفرّست فيّ بعينيها الخضراوين وهي تقول: «أنت تبحث عن العصفور الأحمر».

«نعم، من أجل عميل».

«من؟».

«هذه معلومات سرية».

«لديّ إحساس بأننا قد نصبح صديقين حميمين يا مستر بيلين، صديقين حميمين جداً».

«فعلاً؟ ها؟».

«أنت رجل وسيم، بطريقتك الخاصة، لا بد أنك تعرف هذا. لديك هيئة تشي بأنك عشت حياة جيدة. هذا شيء جذاب جداً. أغلب الرجال لا يعيشون حياة جيدة، تُنهكهم الحياة فقط».

«حقاً؟».

«يمكنك أن تناديني ديجا».

«ديجا».

«مممم. لمَ لا تأتي وتجلس بجانبي هنا؟».

تحرّكت وجلست بجانبها على الأريكة. ابتسمتْ.

«هل تريد كأساً؟».

«بالطبع. ألديكِ ويسكي بالصودا؟».

«بيرني.. كأس ويسكي بالصودا من فضلك».

مرت دقائق قليلة ثم جاء ابن القحبة الذي أخذ مسدسي، ووضع الكأس على طاولة صغيرة أمامي.

«شكراً يا بيرني».

ابتعد واختفى.

رشفت جرعة من الويسكي. ليس سيئاً، ليس سيئاً.

«مستر بيلين.. لقد طلبوا مني إخبارك أن عليك أن تنسى كل ما يخص العصفور الأحمر».

«أنا لا أغلق قضية إلا إذا رغب العميل في ذلك».

«ستغلق هذه يا مستر بيلين».

«آها».

«هل يزعجك تدخيني لهذا السيجار؟».

«آها».

«أتريد نَفَساً؟» قالت وناولتني السيجار. سحبت نفساً جيداً، كتمته، أطلقته، ثم أعدته لها. ظلت الغرفة واضحة للحظة ثم أخذت الجدران تتحرك شيئاً فشيئاً، ارتفعت السجادة ثم هبطت. ومض ضوء أزرق أمامي لوهلة. ثم كان فمها في فمي. قبّلتني، ثم سحبت فمها. ثم ضحكت.

«متى كانت آخر مرة كنت فيها مع امرأة يا بيلين؟».

«لا أذكر..».

ضحكت مرة أخرى ثم كان فمها في فمي مجدداً. منذ وقت طويل حقاً. تلوّى لسانها في فمي كالثعبان. كان جسدها كالثعبان.

ثم سمعت صوت خطوات، ثم صوتاً يقول: «**توقفا**».

كان ذلك بيرني. وقف هناك ممسكاً مسدسين، واحداً في كل يد. أحدهما كان مسدسي.

قلت له: «مهلاً يا بيرني، تمهّل من فضلك».

تنفس بصعوبة كما لو أنه لم يجد أوكسيجين في الهواء، وحدّق في

Twitter: @ketab_n

ديجا بعينين مغرورقتين بالدموع. قال لها: «**ديجا. أنت تعلمين أنني أحبك! سأقتله وأقتلك وأقتل نفسي!**».

كنت في موقع ممتاز منه. رفعت ساقي اليمنى وركلته بقوّة بين بيضتيه مباشرة. صرخ وسقط وهو يمسك بهما. التقطت المسدسين ووضعت أحدهما في قرابي وأمسكت الآخر بيدي اليمنى، وباليسرى رفعت بيرني وأجلسته على مقعد، شددت شعره للخلف حتى انفتح فمه، ووضعت فوهة المسدس في فمه قائلاً: «مصّ هذا لوقت يا رجل إلى أن أقرر ماذا سأفعل».

صدر عنه صوت قرقرة معوية.

قالت ديجا: «لا تقتله. أرجوك لا تقتله!».

سألته: «ماذا تعرف عن العصفور الأحمر يا ابن القحبة؟».

لم يجب.

دفعت المسدس في فمه بقوة. فصدرت عنه ضرطة. كانت ضرطة عالية، ومقرفة. سحبت المسدس من فمه ورميته على الأرض: «أيها المقرف. إياك أن تفعل هذا مرة أخرى».

استدرت نحو ديجا وسألتها: «هل يملك غرفة هنا؟».

«نعم».

نظرت إلى بيرني وأمرته قائلاً: «اذهب الآن إلى غرفتك وابق فيها حتى آمرك أن تخرج!».

أومأ برأسه.

«هيا اذهب الآن».

نهض على قدميه وسار ببطء، انعطف في ممر، وسرعان ما سمعت صوت باب ينغلق.

كانت ديجا قد أطفأت سيجارها وبارحتها الابتسامة. قلت لها: «أوكي يا حلوة، لنعد إلى ما توقفنا عنده».

«لا أريد».

«ماذا؟ لماذا؟ كان لسانك في منتصف الطريق إلى مريئي».

«أنا خائفة منك. أنت عنيف جداً».

«لكنه قال إنه سيقتلك، ألم تسمعيه؟».

«على الأغلب لم يكن يعني هذا».

«لا تعتمدي على «غالباً» فأنت تتعاملين مع الحبّ والسلاح».

تنهّدَت.

«أنا قلقة على بيرني، إنه يجلس وحيداً في غرفته».

«أليس لديه تلفزيون؟ كلمات متقاطعة؟ قصص مصورة؟».

«من فضلك يا مستر بيلين، أرجوك أن تنصرف».

«أريد الوصول إلى قرار في مسألة العصفور الأحمر تلك يا صغيرتي».

«ليس الليلة.. ليس الليلة».

«متى إذن؟».

«غداً مساءً، في نفس الموعد».

«أرسلي بيرني إلى السينما أو شيء كهذا».

«وهو كذلك».

مددت يدي إلى كأسي، أفرغتها، وتركت ديجا جالسة على الأريكة تحدق في البساط. أغلقت الباب خلفي، سرت في الردهة، خارج باب البناية، وعدت إلى سيارتي. ركبت وأدرت المحرك. انتظرته يسخن. كانت ليلة مقمرة دافئة. وما زال لديّ انتصاب.

٤٢

قدت إلى حانة لم أتعارك فيها حتى الآن. بلينكيز. بدت لأول وهلة لا بأس بها: موائد جلدية لفردين، حمقى، ظلام، دخان. أجواء موت لطيفة تسود المكان. وجدت مائدة لفردين وجلست إليها. جاءت النادلة ترتدي زياً سخيفاً، بدلة ألعاب وردية محشوَّة بقطن يدفع صدرها لأعلى. ابتسمت ابتسامة بشعة كاشفة عن سن ذهبية واحدة. تعبير عينيها فارغ.

قالت بصوت كالصرير: «بم تأمر، حبيبي؟».

«زجاجتي بيرة. من دون كأس».

«زجاجاتين يا حبيبي؟».

«نعم».

«أي نوع؟».

«صيني».

«صيني؟».

«زجاجتي بيرة صيني. من دون كأس».

قالت: «أيمكنني أن أسألكَ سؤالاً؟».

«يمكنك».

«هل ستشرب الزجاجتين وحدك؟».

«هذا ما أرجوه».

«لماذا إذن لا تطلب واحدة ثم تطلب الأخرى؟ لتظل باردة».

«أنا أريد أن أطلب بهذه الطريقة، يوجد سبب، على ما أظن».

«أخبرني به يا حبيبي حين تعرفه».

«لماذا؟ ربما أريد الاحتفاظ به لنفسي».

«سيدي، أنت تعلم إننا لسنا مضطرين لخدمتك. نحن يحق لنا أن نرفض خدمة أي شخص».

«أتعنين أنكِ لن تخدميني لأنني طلبت زجاجتي بيرة صيني ولم أخبرك لماذا؟».

«لم أقل إننا لن نخدمك بل قلت، يحق لنا ألا نخدمك».

«انظري.. السبب هو الأمان. حاجة في العقل الباطن إلى الأمان. قضيت طفولة بغيضة. زجاجتان في وقت واحد تملآن فراغاً يحتاج إلى شيء يملؤه. ربما. لست واثقاً».

«سأقول لك شيئاً يا حبيبي.. أنت بحاجة إلى طبيب نفسي».

«وهو كذلك، لكن إلى أن أذهب إلى الطبيب النفسي، هل لي بزجاجتي البيرة الصيني؟».

جاء رجل ضخم يضع مئزر مطبخ أبيض قذرا:

«ما المشكلة هنا يا بيتي؟».

«هذا الرجل يريد زجاجتي بيرة صيني من دون كأس».

«ربما ينتظر صديقاً يا بيتي».

«ليس له صديق يا بلينكي».

نظر بيلنكي إليّ. كان رجلاً ضخماً وسميناً. كان بحجم رجلين ضخمين وسمينين. سألني: «أليس لديك صديق؟».

«لا».

«ماذا ستفعل إذن بزجاجتي بيرة صيني؟».

«أريد أن أشربهما».

«لماذا لا تطلب واحدة وتشربها ثم تطلب الأخرى؟».

«أنا أفضّل هذه الطريقة».

«لم أسمع بشيء كهذا من قبل».

«لماذا لا يمكنني هذا؟ هل هو غير قانوني؟».

«لا إنه أمر غريب فقط ليس غير».

قالت بيتي: «قلت له إنه بحاجة إلى طبيب نفسي».

وقف الاثنان بلا حراك ينظران إليّ. أخرجت سيجاراً وأشعلته.

قال بلينكي: «هذا الشيء رائحته مقرفة».

«وكذلك رائحتك أيها الخراء».

«ماذا؟».

«أحضر لي ثلاث زجاجات بيرة صيني من دون كأس».

قال: «هذا الرجل مجنون».

نظرت إليه وضحكت. ثم قلت: «لا تحدثني مرة أخرى. ولا تقم بأي شيء على الإطلاق يستفزني، وإلا سأنتزع شفتيك من وجهك اللعين هذا أيها الفتى الضخم».

تجمّد بلينكي مكانه. بدا كأنه على وشك أن يُفرغ أمعاءه.

وقفت بيتي بلا حراك.

مرّت دقيقة. ثم قالت بيتي: «ماذا أفعل بلينكي؟».

قال: «أحضري ثلاث زجاجات بيرة صيني من دون كأس».

انصرفت بيتي لتُحضر البيرة.

قلت لبلينكي: «والآن.. أنت.. اجلس في مكان تراني منه، أريدك أن تشاهدني وأنا أشرب زجاجات البيرة الصيني الثلاث».

«بالطبع». قال وانزلق بطريقة ما وجلس إلى الطاولة أمامي.

كان يتعرّق، وأجزاء ذقنه الثلاثة ترتعش. سألته: «بلينكي، أنت لم تر العصفور الأحمر أليس كذلك؟».

«العصفور الأحمر؟».

«نعم، العصفور الأحمر».

«لم أره».

جاءت بيتي بالبيرة الصيني.

أخيراً.

٤٣

عدت إلى هناك إذن في الليلة التالية. وقفت أمام البناية، لمّعت حذائي ولم أشرب سوى ثلاث أو أربع زجاجات بيرة. أمطار خفيفة تُنذر بالسوء قليلاً. كنا في صغرنا نقول حين تمطر إن «الرب يتبوّل». ينتابني إرهاق، بدني وذهني. أريد أن أخرج من اللعبة. أن أتقاعد، في مكان ما كفيجاس مثلاً. أجول بين طاولات القمار، أبدو حكيماً. أشاهد الحمقى يبددون ثرواتهم. هذا تصوري حول قضاء وقت ممتع. الجلوس مسترخياً تحت الضوء بينما يتثاءب القبر في انتظاري. لكن.. اللعنة.. ليس لدىّ نقود. وعليّ أن أجد العصفور الأحمر. ضغطت على زر الشقة ٩. انتظرت. ضغطت على الجرس مجدداً. لا شيء. أو ياه.. أو ياه.. ياه.. ياه. لم أشأ التفكير في الأمر. أتراهم هربا؟ ديجا وابن القحبة الآخر؟ كان عليّ أن أحتجزهما ليلة أمس، هل تركتهما يفلتان منّي؟

أشعلت سيجاراً بيد وداعبت بالأخرى مقبض باب البناية. انفتح ودخلت إلى الردهة. سرت حتى شقة ٩. وضعت أذني على الباب. لا شيء. ولا حتى حركة خفيفة لفأر. أووه. اللعنة. اقتحمت قفل الباب ودخلت. اتجهت مباشرة إلى غرفة النوم، فتحت خزانة الملابس. فارغة. اختفت الملابس. لا شيء سوى شمّاعات وحيدة. منظر فظيع. تحول خيطي الأول للعصفور الأحمر الآن إلى ٣٢ شماعة فارغة. لقد فقدته. أنا محقّق مغفّل. فكرت في الانتحار على نحو مبهم ثم استبعدت الفكرة،

مددت يدي إلى جيب معطفي، وجدت الباينت، رشفت جرعة فودكا، وبصقت سيجاري.

استدرت وخرجت من هناك، سرت من رواق إلى رواق حتى وجدت ما أريده. باب عليه بطاقة

المدير. م. توهيل.

طرقته.

جاء الرد «نعم؟». بدا أنه رجل ضخم آخر.

«زهور لمستر توهيل، توصيل زهور لميم توهيل».

«كيف دخلت إلى هنا؟».

«باب البناية كان مفتوحاً يا مستر توهيل».

«مستحيل!».

«غادرت سيدة البناية مستر توهيل ودخلتُ وهي تخرج».

«لا يجوز لك هذا».

«لم أكن أعرف. ماذا كان عليّ أن أفعل؟».

«أن تضغط على الجرس الخارجي وتخبرني من أنت وماذا تريد».

«حسناً يا مستر توهيل، سأخرج وأضغط على الجرس وأخبرك أن لديّ زهوراً من أجلك. هل سيكون هذا جيداً؟».

«لا عليك يا فتى. هنا..».

انفتح الباب. قفزت إلى الداخل وأغلقت الباب بقدمي وأمسكت به من حزامه. أحكمت قبضتي عليه. كان رجلاً ضخماً. لم يحلق ذقنه. رائحته كبريتية قليلاً. وزنه يقارب ١٢٠ كيلوغراماً.

«ماذا تفعل بحق الجحيم؟ أين الزهور؟ أبعد يدك عن حزامي اللعين!».

«مهلاً يا مستر توهيل». أفلتُّ قبضتي قائلاً: «أنا محقّق خاص، مُعتَمد ولدي رخصة. أريد أن أعرف أين ديجا فاونتين صاحبة الشقة ٩».

«قبّل مؤخرتي يا رجل وأخرج من هنا إلى الجحيم».

تراجعت قائلاً: «مهلاً يا مستر توهيل. أنا أريد هذه المعلومة فقط، ثم سأرحل».

«هذه معلومات خاصة وستذهب من دونها. سأخرجك من هنا الآن!».

«أنا حاصل على الحزام الأسود توهيل، وهذا الذي بيدي سلاح مميت، لا تضطرني لاستخدامه».

ضحك وتقدّم خطوة نحوي.

صحتُ فيه: «قف عندك».

توقف.

«توهيل. يجب أن أصل إلى العصفور الأحمر، وديجا فاونتين هي خَيْطي الذي يوصلني إليه، يجب أن أعرف أين ذهبت هي وفتاها».

«لم يتركا عنواناً لإعادة إرسال البريد.. انصرف من هنا الآن قبل أن أفسو في وجهك!».

أخرجت مسدسي من جيبي وسددته نحو بطنه صائحاً: **«أين ديجا فاونتين؟»**.

قال وهو يتحرك نحوي: «ضاجع نفسك».

أمرته: «توقف عندك».

ظل يتحرك نحوي. كان أحمق. جزعت، سحبت زناد الأمان.

تعطّل المسدس. فوجدت يديه حول رقبتي.

كانتا بحجم كتلة البسطرمة، بأصابع كبيرة مكتنزة وقوية وعديمة الشفقة. لم أستطع التنفس. برقت ومضات ضوء في رأسي خلف عينيّ. ثنيت ركبتي وركلته بها بين فخذيه. لم يحدث شيء. كان وحشاً، أعضاؤه التناسلية في مكان ما آخر، تحت إبطيه ربما. كنت بلا حول ولا قوة. شممت رائحة الموت في الهواء، لكن لقطات حياتي الماضية لم تمر أمام عيني، فقط ردّد صوت في دماغي قائلاً: «أنت في حاجة لإطار جديد لسيارتك، الإطار اليمين الخلفي..». غبي، غبي. كنت عند النهاية، عند المنتهى. انتهى الأمر بالنسبة لي.

ثم فجأة شعرت باليدين تتراخيان وتتركاني. تهاويت إلى الخلف، أمتص الهواء من الستراتوسفير(١) ومن أي مكان آخر.

نظرت إلى توهيل. لم يبدُ بخير. لم يبد بخير بالمرة. كان ينظر إليّ ولا ينظر. يُمسك ذراعه اليسرى وعلى وجهه تقلّصات ألم ممضّ. شهق ورفع بصره إلى أعلى وسقط على الأرض.

سرت نحوه، انحنيت فوقه، تحسست نبضه. لا شيء. كان قد مات. الوداع.

سرت إلى كرسيّ، جلست عليه، فوجدتها تجلس أمامي على الأريكة: السيدة موت. في أجمل لحظاتها. يالها من حلوة. لا تخذلك أبداً. أفضل من الذهب. ابتسمَتْ.

---

(١) الطبقة العليا في الغلاف الجوي.

«كيف الحال يا بيلين؟».

«لا شكوى البتّة يا سيدتي».

كانت ترتدي سواداً كاملاً. بدت رائعة في الأسود. وفي الأحمر أيضاً.

«الأفضل لك أن تراقب وزنك يا بيلين. أنت تأكل الكثير من البطاطس المحمرة، والبطاطس المهروسة، والحلوى... وتمتصّ زجاجات البيرة امتصاصاً..».

«نعم.. نعم.. حسناً.. نعم..».

ابتسمَتْ مجدداً، فبدت أسنانها القوية الرائعة. تستطيع أن تقضم بها مفتاحاً إنجليزياً. قالت: «حسناً. يجب أن أذهب الآن. لديّ عمل آخر في مكان قريبٍ من هنا».

«شخص أعرفه؟».

«أتعرف شخصاً يدعى هاري دوبس؟».

«لا أظن».

«حسناً، إن كنت تعرفه، فانس أمره».

ثم اختفت في لمح البصر.

سرتُ نحو توهيل، أخرجت محفظته. كانت معه ورقة بخمسين، وورقتان بعشرين وورقة بخمسة ودولاراً واحداً. دسستها كلها في جيب بنطالي الأيمن. سرت نحو الباب، فتحته ثمّ أغلقته خلفي وسرت في الردهة. لا يوجد أحد. وصلت إلى باب البناية. خرجت.

كان مطر خفيف ما زال يتساقط. شعرت بتحسن كبير إذ يلمس

وجهي. تنفست الصعداء، تنهّدت وتوجّهت إلى سيارتي. ما زالت في مكانها. تحققت من الإطار الخلفي الأيمن. بالطبع، كان مشقوقاً. أنا بحاجة لإطار جديد.

٤٤

وهكذا. وأنا مكتئب مرة أخرى، قدت عائداً إلى شقتي. فتحت زجاجة سكوتش ما إن دخلت. عدت إلى صديقي القديم، سكوتش وماء. السكوتش مشروب لا تشربه على الفور، لكن مفعوله السحريّ يؤثّر فيك بعد فترة. له لمسة دفء خاصة لا أجدها مع الويسكي. على كلّ، تكدّر مزاجي، فجلست على المقعد وبجانبي كأسي الخامسة. لم أشغّل التليفزيون، ابن العاهرة هذا حين يجدك في مزاج سيئ يزيده سوءاً. مجرد وجه رذل تلو الآخر، بلا انقطاع. موكب لا ينقطع من الأغبياء، بعضهم مشاهير. الكوميديون ليسوا مضحكين، والدراما من الدرجة الرابعة. ما من ملاذ سوى السكوتش.

صار المطر الخفيف مطراً غزيراً فجلست أستمع إليه يقرع السقف.

ما كان يجب أن أدع هذين العاهرين يفلتان مني. ولن أجد المصدر الأصلي مرة أخرى أبداً. عدت إلى نقطة البداية مجدداً. اختفى العصفور الأحمر من قبضتي الغبية. ها أنا ذا في الخامسة والخمسين من عمري وما زلت أتعثر في الظلام. إلى متى سأستطيع البقاء في اللعبة؟ أيستحق الأحمق شيئاً سوى ركلة في المؤخرة؟ قال لي أبي: «اعمل في أي شيء حيث يعطونك المال أولاً، ثم دعهم يأملون في استعادته. هكذا يكون التعامل مع البنوك والتأمينات. خُذ الشيء الحقيقي وأعطهم مقابله قطعة ورق. استغلّ نقودهم، ستظل تأتي. إن ما يدفعهم شيئان: الطمع

والخوف. وما يدفعك شيء واحد: الفرصة». تبدو كنصيحة جيدة. بيد أنه مات مُفلساً.

صببت كأس سكوتش أخرى.

اللعنة، لقد فشلت حتى مع النساء. ثلاث زوجات. لم يكن من خطأ حقيقي في كل زيجة. دُمّرت كلها بمشاحنات تافهة. الإدانة بتهمة لا شيء. الحنق من أي شيء وكل شيء. يزداد السخط يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام. وبدلاً من مساعدة أحدكم الآخر ينأى كل واحد بنفسه، يعوّل على هذا أو ذاك. يظل الواحد ينخس الآخر، نخساً لا نهاية له. تصير مباراة رخيصة. وما إن تنهككما، حتى تصير عادة. لا مفرَّ منها. لا ترغبان في الخروج منها. وفي النهاية تخرجان. إلى الطريق.

وهكذا، ها أنا ذا، أجلس وأصغي للمطر. إن متُّ الآن لن تُذرف دمعة واحدة عليّ في أي مكان في العالم. ليس أنني أريد ذلك. لكنه أمر غريب. كم من الوحدة قد يعاني الأحمق؟ لكن العالم مليء بالفسوات المسنّة مثلي. يجلسون ويصغون للمطر، يتساءلون أين تذهب كل هذه الأمطار. عندما تجلس وتتساءل أين تذهب هذه الأمطار تدرك أنك عجوز.

حسناً، إنها لا تذهب إلى أي مكان، ليس من المفروض أن تذهب إلى أيّ مكان. كنت شبه ميت. شغّلت التليفزيون. إعلان يقول: **وحيد؟ مكتئب؟ ابتهج. اتصل بإحدى نساءنا الجميلات. هنّ يردن التحدث معك. ادفع ببطاقة الفيزا أو الماستر. تحدث مع كيتي أو فرانسي أو بلانكا. اتصل على** ٨٠٠-٤٣٥-٨٧٤٥.

يعرضون الفتيات.. بدت كيتي أفضلهن. رشفت جرعة سكوتش واتصلت بالرقم.

«نعم؟» جاءني صوت رجل، يبدو لئيماً.

«كيتي من فضلك».

«هل تبلغ واحداً وعشرين سنة أم أكبر؟».

«أكبر».

«ماستر أم فيزا؟».

«فيزا».

«أعطني رقم الفيزا وتاريخ انتهاءها. والعنوان ورقم الهاتف ورقم التأمين الاجتماعي ورقم رخصة القيادة».

«ماذا، وكيف أتأكد أنك لن تستخدم هذه المعلومات لصالحك؟ كأن تنصب عليّ مثلاً وتتكسّب من وراءها؟».

«ماذا يا رجل، أتود التحدث مع كيتي؟».

«على ما أظن..».

«نحن نعلن عن أنفسنا في التلفزيون، وندير عملنا هذا منذ عامين».

«وهو كذلك. اسمح لي أن أخرج هذه المعلومات من محفظتي».

«يا رجل، إن لم تكن تريدنا فنحن لا نريدك».

«فيمَ ستتحدث معي كيتي؟».

«ستحبها».

«كيف تعرف إنني سأحبها؟».

«ماذا يا رجل..».

«حسناً، حسناً. انتظر دقيقة..».

أعطيته المعلومات. انتظرت طويلاً إلى أن تم التحقق من رصيدي. ثم سمعت صوتاً: «هيه يا صغيري هذه كيتي!».

«أهلاً يا كيتي. اسمي نِكي».

«أوووه. صوتك مثير جداً! لقد أثارني قليلاً!».

«لا. صوتي ليس مثيراً».

«أوه. أنت متواضع فقط!».

«لا يا كيتي لست متواضعاً..».

«أتعرف. أشعر أنني قريبة جداً منك! كأنك تضمني وأنا على ركبتيك وأنظر في عينيك. إن عينيّ زرقاوين. أراك تميل عليّ كأنك ستقبّلني!».

«هذا هراء كيتي، أنا أجلس هنا وحيداً أشرب سكوتش وأصغي إلى صوت المطر».

«اسمع نِك، يجب أن تستخدم خيالك ولو قليلاً. دع نفسك وستتفاجأ بما يمكن أن نفعله معاً. ألا تحب صوتي؟ ألا تجده.. آه.. مثيراً قليلاً؟».

«نعم، قليلاً، ولكن ليس جداً. تبدين كأنك مصابة بنزلة برد. أأنت مصابة بالبرد؟».

«نِك، نِك، يا فتاي العزيز، أنا ساخنة جداً ويصعب أن أصاب بالبرد!».

«ماذا؟».

«قلت لك أنا ساخنة جداً ويصعب أن أصاب بالبرد!».

«حسناً، تبدين كأنكِ مصابة بالبرد، أتدخِّنين كثيراً؟».

«أنا أدخن شيئاً واحداً فقط يا نِك!».

«ما هو يا كيتي؟».

«حَزِّر».

«لا»..

«انظر لأسفلك يا نِك».

«أوكي».

«ماذا ترى؟».

«كأس. هاتف..».

«ماذا أيضاً يا نِكي؟».

«حذائي..».

«نِك، ما هذا الشيء الكبير الذي يبرز منك وأنت تتحدث معي؟».

«أوه، هذا، إنه كرشي!».

«تحدث معي يا نِك. اسمع صوتي. تخيلني على ركبتيك، وثوبي مرفوع قليلاً يظهر ركبتيّ وفخذيّ. وشعري الأشقر الطويل ينسدل على كتفي. فكر في كل هذا يا نِك، فكر في..».

«وهو كذلك..»..

«أوكي، الآن ماذا ترى؟».

«نفس الأشياء: الهاتف، وحذائي، وكأسي، وكرشي..».

«أنت سيئ يا نِك! لديّ رغبة حقيقية في المجيء إليك وصفعك على ردفك، أو ربما سأدعك تصفعني أنت على ردفي!».

«ماذا؟».

«اصفعني، اصفعني نِكي».

«كيتي..».

«نعم؟».

«أتسمحين لي بدقيقة؟ يجب أن أذهب إلى الحمّام».

«أوه نِك أعرف ما ستفعله هناك! لكن ليس عليك أن تذهب إلى لحمام، يمكنك أن تفعلها على الهاتف وأنت تتحدث معي!».

«لا أستطيع كيتي، سأتبوّل».

«نِك. اعتبر محادثتنا انتهت!» وأغلقت الخط.

ذهبت للحمام وتبوّلت. ما زلت أسمع صوت المطر ينهمر. حسناً. كانت مكالمة خائبة لكنها على الأقل أبعدت ذهني قليلاً عن العصفور الأحمر ومواضيع أخرى. دفَقتُ الماء، غسلت يديّ، حدّقت في المرآة، غمزت لنفسي وخرجت عائداً للسكوتش.

٤٥

وهكذا. ها أنا ذا، عدت إلى المكتب في اليوم التالي. شعرت بالنقص، وبصراحة، بحماقة كل شيء. لم أكن متجهاً لأي شيء، وكذلك بقية العالم. فقط نتجوّل جميعاً في المكان في انتظار الموت وفي أثناء هذا نفعل أشياء صغيرة لنملأ فراغنا. بعضنا لا يفعل أشياء صغيرة حتى. نحن خضروات. أنا أحد هذه الخضروات، لا أعرف أي نوع بالتحديد. أشعر أنّي لفت. أشعلت سيجاراً، سحبتُ نَفَساً وتظاهرت بإنني أعرف كل شيء عن الجحيم.

رنّ جرس الهاتف. التقطت السماعة.

«مستر بيلين لقد تم اختيارك لتكون أحد الفائزين معنا. قد تكون جائزتك جهاز تلفزيون، أو رحلة إلى الصومال، أو خمسة آلاف دولار، أو مظلة تُطوى. ولدينا لك غرفة فندق مجاناً، وإفطار مجاناً. كل ما عليك فعله أن تحضر إحدى ندواتنا حيث نعرض عليك قيمة لا محدودة..».

«هيا يا رجل».

«نعم سيدي؟».

«اذهب ونِك أرنباً».

أغلقت الخط. جلست أحدّق في الهاتف. شيء لعين ميت. لكنك بحاجة له للاتصال بالنجدة. لا أحد يعرف ماذا تُخبئ الأيام.

أنا بحاجة إلى إجازة. بحاجة إلى خمس نساء. أحتاج لإخراج الشمع من أذنيّ. سيارتي تحتاج لتغيير زيت. فشلت في إرسال ضرائب دخلي اللعين. أحد ذراعَيْ نظّارة القراءة خاصتي مكسور. يوجد نمل في شقتي. أحتاج لتنظيف أسناني. ذاب نعلاَ حذائي. أعاني من الأرق. انتهت صلاحية التأمين على سيارتي. كلما حلقت ذقني جرحت نفسي. لم أضحك منذ ست سنوات. أميل للقلق حين لا يوجد ما يستحق القلق، وحين يوجد، أسكَر.

رنّ جرس الهاتف مرة أخرى. التقطت السماعة.

«بيلين؟» سأل ذاك الصوت.

«ربما».

«ربما مؤخرتي.. إما بيلين أو لا».

«حسناً. أمسكتني. أنا بيلين».

«حسناً، بيلين، سمعنا أنك تبحث عن العصفور الأحمر».

«حقاً؟ وما مصدركم؟».

«مصدر خاص».

«وكذلك عضوك لكنك تكشفه».

«نحن لا نريد أن نكشف عن مصدرنا».

«حسناً إذن، ما المطلوب؟».

«١٠,٠٠٠ دولار ونضع العصفور الأحمر في يدك».

«ليس معي عشرة».

«يمكننا أن نوصّلك بمن يقرضها لك».

«حقاً؟».

«حقاً يا بيلين، بفائدة ١٥ في المائة فقط. كل شهر».

«لكن ليس لدي أي ضمانات».

«بالطبع لديك».

«ماذا؟».

«حياتك».

«هذا كل شيء؟ دعنا نتحدث».

«بالطبع بيلين. سنكون في مكتبك. عشر دقائق».

«كيف أعرف أنكم أنتم؟».

«سنخبرك».

أغلقت الخط.

بعد ذلك بعشر دقائق سمعت طرقاً على الباب. طرق عالٍ. جعل الباب يهتزّ ويرتَجّ. تحققت من مسدسي في درج المكتب. كان هناك، جميلاً كصورة. صورة عارية.

ـ «الباب مفتوح، بربّي، ادخل».

انفتح الباب. جسد ضخم يحجب الضوء. شمبانزي بسيجار في بذلة بمبي. يصحبه قردان أصغر منه.

أشرت عليه بكرسي. جلس عليه، مَلأَه. كادت سيقان الكرسي تنكسر. أحاط به قرد من كل جانب كجناحين.

تجشّأ الشمبانزي، مال قليلاً إلى الأمام نحوي وقال: «أنا سندرسون.. هاري سندرسون، وهذان».. مشيراً نحو صاحبيه «صبياني».

«ابناك؟».

«صبياني، صبياني».

«نعم».

«أنت بحاجة لنا».

«نعم».

«العصفور الأحمر».

«هل تعرف تلك الصغيرة وفتاها الهجين اللذين هربا من شقتهما الليلة الماضية؟».

«أنا لا أعرف صغيرات.. أنا فقط استخدمهنّ لشيء واحد».

«ما هو؟».

«ليمسحن ذَكَري».

قهقه قرداه. يجدان هذا مضحكاً.

قلت: «لا أظن أن هذا مضحك».

قال سندرسون: «لا يهمنا ماذا تظن».

«هذا منطقي. لنتحدث عن العصفور الأحمر».

«عشرة آلاف دولار».

«كما قلت لك. لا أملكها».

«وكما قلت لك، لدينا من يقرضك، بفائدة ١٥ % في الشهر».

«حسناً، صلني به».

«أنا هو».

«أنت؟».

«نعم يا بيلين. أنا سأقرضك المبلغ، لتسلّمه لنا. ثم تدفع لنا كل شهر نسبة ١٥٪ من العشرة آلاف إلى أن تسدد المبلغ كله. كل ما عليك فعله أن توقّع على هذه الورقة. لن نلوّث أيدينا بالنقود. سنحتفظ بها لنوفر عليك الجهد».

«ومقابل هذا، أنت سوف..».

«أضع العصفور الأحمر في يدك».

«كيف أضمن هذا؟».

«تضمن ماذا؟».

«أنك ستضع العصفور الأحمر في يدي».

«عليك أن تثق بنا».

«هذا ما توقعته».

«ألا تثق بنا يا بيلين؟».

«ماذا؟».

«ألا تثق بنا؟».

«بالطبع، لكن من الأفضل أن تثقوا أنتم بي».

«كيف؟».

«أن تضع العصفور الأحمر في يدي أولاً».

«ماذا؟ ماذا نبدو لك؟ عصابة عرائس خشبية؟».

«حسناً، نعم..».

«لا تتحاذق يا بيلين. إن أردت أن ترى العصفور الأحمر يجب أن تثق بنا. نحن فرصتك الوحيدة. فكّر في الأمر. لديك ٢٤ ساعة».

«وهو كذلك. دعني أفكّر في الأمر».

«فكر يا بيلين». نهض القرد الكبير ذو البذلة البمبي وأضاف: «فكّر جيداً. وبلّغنا بقرارك. لديك ٢٤ ساعة، بعدها يعتبر الاتفاق لاغياً إلى الأبد».

«أوكي».

استدار، فهرع أحد القردين أمامه ليفتح له الباب، ووقف الآخر ينظر إليّ. ثم غادروا جميعاً. وجلست وحدي. ليس لدي فكرة. الكرة في ملعبي. والوقت يمر. ماذا بحق الجحيم. أخرجت زجاجة الفودكا من المكتب. كان وقت الغداء.

٤٦

حسناً، ماذا ستفعل؟ كنت قلقاً بشدة حتى أنني غفوت وأنا جالس خلف المكتب. حين استيقظت كان الظلام قد خيّم. نهضت، ارتديت معطفي وقبعتي الديربي وخرجت. ركبت سيارتي وقدت خمسة أميال غرباً. لمجرد القيادة فقط. ثم ركنتها وجلت بنظري. كنت أمام حانة. مكتوب على اليافطة النيون «هيدس» [رؤوس]. ترجلت من السيارة ودخلت. كان بالداخل خمسة أشخاص. خمسة أميال، خمسة أشخاص. كل شيء يأتي خمسات. الساقي، وفتاة صغيرة، وثلاثة فتية نحيفون واهنون أغبياء. بدا أنهم دَهنوا شعورهم بورنيش الأحذية. يدخّنون سجائر طويلة وينظرون إليّ باستهزاء، ينظرون إلى كل شيء باستهزاء. كانت الصغيرة عند أحد طرفي البار، والصبية عند الطرف الآخر، والساقي في المنتصف. أخيراً انتبه إليَّ الساقي بعد أن حملت المنفضة وأسقطتها مرتين. طرف بعينه وتحرّك نحوي. بدا رأسه كرأس ضفدع، لكنه لم يكن يتقافز كضفدع، سار نحوي يترنح وتوقف أمامي.

قلت له: «سكوتش وماء».

«أتريد الماء في السكوتش؟».

«قلت لك سكوتش وماء».

«ها ه؟».

«سكوتش وماء. كلٌّ على حدة، من فضلك».

نظر الصبية الثلاثة إليّ. قال الجالس في المنتصف: «هيه أيها العجوز، أترغب في بعض الألم؟» نظرت إليه وابتسمت فقط. قال: «لدينا ألم مجاني». كانوا جميعاً يشخرون، وظلوا يشخرون.

جاء الساقي بالسكوتش والماء، قال الصبي نفسه الذي تحدث من قبل: «أعتقد أنني سآتي إليك وأشرب كأسك».

«إن لمست كأسي سأشطرك نصفين كقطعة خراء يابسة».

قال: «أو ياه ياه ياه».

قال الثاني: «أو ياه».

وقال الثالث: «أو ياه».

شربت السكوتش وتركت الماء.

قال الجالس في الوسط: «العجوز يظن نفسه صلباً».

قال الثاني: «ربما علينا أن نرى صلابته».

وقال الثالث: «نعم».

يا الله. كم كانوا مُضجِرين. كالآخرين جميعاً تقريباً. لا جديد، لم يعد شيء طازجاً بعد الآن. ميتون، سطحيون. كالأفلام.

قلت للساقي: «نفس الشيء».

«سكوتش وماء؟».

«نعم».

قال الجالس في الوسط: «هذا العجوز لا يبدو لي قوياً بما يكفي».

قلت له: «لا».

«لا ماذا؟».

«العجوز لا يبدو قوياً بما يكفي».

«أنت متفق معنا إذن؟».

«أنا أصححكم. وأرجو أن يكون هذا هو التصحيح الأخير الليلة».

جاء الساقي بكأسي، وضعه، ثم غادر.

قال الشخص الذي تحدث أغلب الوقت: «لعلنا نصحّح لك مؤخرتك».

تجاهلته.

قال أحد الاثنين الآخرين: «لعلنا نلصق رأسك بمؤخّرتك».

مملّون لعينون. في كل أنحاء الأرض. يتوالدون أكثر مللاً ولعنة. يا له من عرض مريع. الأرض تعجّ بهم.

قال أحدهم: «لعلنا نجعلك تمصّ جزرة».

قال آخر: «لعله يفضل مصّ ثلاث جزرات».

لم أقل شيئاً. أفرغت كأسي السكوتش، تناولت الماء، نهضت، أشرت برأسي إلى خلف الحانة.

«أوه. انظر إنه يريد أن يرانا في الخارج!».

«ربما يريد جزرَاتنا!».

«لنذهب ونرى!».

سرت نحو الجهة الخلفية من الحانة. سمعتهم خلفي. ثم سمعت صوت فتح مطواة. استدرت في الوقت المناسب لأركلها من يده، ووجّهت له ضربة خاطفة خلف أذنه. سقط أرضاً فخطوت من فوقه. استدار الاثنان الآخران يركضان. هرولا عبر الحانة وخرجا من بابها

الأمامي. تركتهما يذهبان. عدت إلى الصبي الآخر. ما يزال فاقد الوعي. حملته على كتفي وألقيت به في الخارج. مددته على ظهره فوق دكة محطة أتوبيس. ثم خلعت حذائه ورميته في بالوعة مجاري، وكذلك محفظته. ثم عدت إلى الحانة، أخذت المطواة، دسستها في جيبي. عدت إلى كرسيّ على البار، وطلبت كأساً أخرى.

سمعت الصغيرة تسعل. كانت تشعل سيجارة. قالت: «مستر، أعجبني هذا. أنا أحب الرجال الحقيقيين».

تجاهلت.

قالت: «أنا تراشي».

حملَتْ كأسها وجاءت تجلس بجانبي. كانت تضع كمية عطر مبالغ فيها وأحمر شفاه تراكم منذ أسبوع تقريباً.

قالت: «يمكننا أن نتعارف».

«لن أنفعك في شيء. سيكون أمراً غبياً فقط».

«ما الذي يجعلك تقول هذا؟».

«الخبرة».

«ربما تكون قد قابلت النساء الخطأ».

«ربما أكون مغرماً بالنساء بالخطأ».

«قد أكون أنا المرأة المنتظرة».

«بالطبع».

«اطلب لي كأساً».

كان كأسي يوضع أمامي. فقلت للساقي: «كأس لتراشي».

قالت: «جين وتونيك بوبي..».

سار بوبي مبتعداً على مهل. فقالت بارتباك: «لم تخبرني باسمك؟».

«ديفيد».

«أوه. أحب هذا الاسم. لقد عرفت ذات مرة رجلاً اسمه ديفيد».

«ماذا حدث له؟».

«نسيت».

مالت عليّ بجانبها. كانت أثقل من المعتاد بما يقارب ١٢ كيلوغراماً. قالت: «أنت رقيق».

«لماذا؟».

«أوه. لا أعرف..». صمتت ثم أردفت: «هل أُعجِبك؟».

«حسناً، ليس تماماً».

«يجب أن أعجبك.. أنا جيدة».

«في ماذا؟ في الآلة الكاتبة؟».

«لا. لكنني أجعل الأشياء القصيرة طويلة».

«مثل ماذا؟».

«أنت تعلم!».

«لا، لا أعلم».

«حزّر».

«البالونات؟».

«أنت مضحك».

«قالوا لي هذا».

وصل كأسها. أخذت رشفة.

كلما نظرتُ إليها قل إعجابي بها. قالت: «اللعنة. قدّاحتي!» ثم فتحت حقيبتها وبدأت تخرج منها أشياء. فتّاحة زجاجات بيرة. ثلاثة ألوان من أحمر شفاه. علكة. صفارة. و... ماذا؟

«وجدتها!» قالت وهي تمسك بالقداحة. أخرجت سيجارة من علبة سجائرها وأشعلتها.

«ما هذا الشيء هناك؟».

«أين؟».

«هناك. على البار. هذا الشيء الأحمر».

أشرت لها نحوه.

«أوه.. هذا عصفوري».

«هل هو حي؟ هل كان حياً؟ من قبل؟».

«لا يا سخيف، إنه محنّط. اشتريته من محل حيوانات اليوم. إنه لقطّتي. إنه عصفور بالنعناع البري! قطتي تحبه».

«أوه اللعنة، اخفه بعيداً».

«ديفيد، لقد صرت مُثاراً في لحظة! هل تثيرك الطيور؟».

«العصفور الأحمر فقط».

«أتريده؟».

«لا. شكراً».

«لديّ المزيد من عصافير النعناع البري في منزلي. وستقابل قطتي».

«لا. شكراً يا تراشي. يجب أن أذهب الآن».

«لا بأس يا ديفيد لكنك لا تعرف ماذا يفوتك».

نهضت، سرت بجانب البار، ألقيت بالحساب للساقي وخرجت. كان المغفل قد اختفى من دكة محطة الأتوبيس. ركبت سيارتي، أدرت المحرك واندمجت في حركة المرور. كان الوقت قرابة العاشرة مساءً. كان القمر يسطع وحياتي بلا وجهة.

٤٧

في اليوم التالي كنت أجلس في مكتبي حين انفتح الباب بركلة قدم ودخل هاري سندرسون وقرداه. كان يرتدي بذلة بنفسجية هذه المرة. ذائقته في الألوان مريعة. تعرفت ذات مرة إلى امرأة من النوع نفسه، كان لها أسلوب في ارتداء مثل هذه الألوان الغريبة. كنا ندخل مطعما مثلاً فيستدير الجميع ليحدقوا فيها. كانت المشكلة أنها لم تكن على هذا القدر من الجمال ليحدّقوا فيها على هذا النحو. حتى مع صداع الخمار وذقن لم تحلق لثلاثة أيام بدوتُ أجمل منها. لا يهم، نعود إلى سندرسون.

قال: «انتهت مهلتك أيها الأحمق. أما زلت تداعب عضوك أم اتخذت قرارك؟».

«ما زلت أداعب عضوي».

«أتريد العصفور الأحمر أم لا؟».

«أريده، لكنكم يا رجال تذكرونني بالرجال الذين نصبوا على خالتي في ألينوي».

«خالتك، ماذا بحق الزنا حكاية خالتك هذه؟».

«كان لديها رشح في السقف».

«صحيح؟».

«نعم. وجاء هؤلاء الرجال وأخبروها إن بإمكانهم إصلاحه لها بمادة اللحام الجديدة التي لديهم، وجعلوها توقِّع على ورقة وتكتب شيكاً ثم صعدوا».

«صعدوا إلى أين أيها الأحمق؟».

«إلى السقف. تسلقوا السقف وسكبوا زيت محركات مستخدماً عليه كله. ثم اختفوا، وعندما أمطرت مرة أخرى، سقط كل شيء، المطر وزيت المحركات، ودمّرا كل أثاث بيتها».

«بلا مزاح يا بيلين، لقد أثّرت هذه الحكاية في قلبي اللعين! الآن، لنتحدث! أتريد العصفور أم نرحل من هنا؟».

«ستقرضني عشرة آلاف دولار ها؟ لن ألمسها حتى، وسيكون عليّ دفع ١٥٪ فائدة كل شهر؟ ألديك اتفاقات لطيفة أخرى لي؟ أقصد، انظر إلى المسألة من هذه الناحية: لو كنت مكاني، هل كنت ستوافق على هذا الاتفاق اللعين؟».

ابتسم قائلاً: «بيلين... أحد الأشياء القليلة التي أشكر عليها الحياة هي أنني لست أنت».

ابتسم قرداه لهذا التعليق.

«أتنام مع هذين الرجلين يا سندرسون؟».

«أنام؟.. ماذا تقصد بحق الجحيم؟ أنام؟».

«تنام.. تغمض عينيك. تضع يدك تحت خدك. أشياء كهذه».

«بيلين. كان يجب أن أقضي عليك وأن أعرف أنك لا تساوي ضرطة في كنيسة خالية!».

قهقه قرداه لهذه.

سحبت نفساً وأطلقته. شعرت على نحو ما أنني سأجِنُّ قليلاً. لكنني أشعر بذلك معظم الوقت.

«إذن.. سندرسون.. أتزعم أنك ستضع العصفور في يدي؟».

«بلا شك».

«حسناً، ضاجع نفسك».

«ماذا؟».

«قلت لك ضاجع نفسك».

«ما خطبك يا بيلين؟ هل جننت؟».

«نعم، نعم. هذا هو الأمر».

«انتظر دقيقة..».

جمع سندرسون قرديه حوله. صدرت عنهم همهمة وسقسقة. ثم انفكت الرابطة. بدا سندرسون متجهّماً. قال: «إنها فرصتك الأخيرة أيها الأحمق».

«ماذا؟ ما هي؟».

«قررنا أن نعطيك العصفور مقابل خمسة آلاف».

«ثلاثة آلاف».

«أربعة آلاف عرضنا النهائي».

«أين الورقة اللعينة؟».

«لديّ هنا».

مد يده في جيبه وأخرج الورقة وألقاها على مكتبي. حاولت قراءتها. كانت مصطلحات قانونية كثيرة. كان على أن أوقّع على قرض من آسمي

إكسكيوشنيرس. مع ١٥% فائدة شهرية. فهمت هذا. لكن ثمة شيء ما آخر.

«هذه الورقة ما زالت عن قرض بعشرة آلاف دولار».

قال سندرسون: «أوه مستر بيلين، يمكننا إصلاح هذا». انتزع مني الورقة، شطب العشرة آلاف وغيّرها إلى أربعة، ومهرها بالحروف الأولى من اسمه ثم ألقاها مجدداً على مكتبي. مضيفاً: «الآن.. وقّع..».

وجدت قلماً ووقّعت. وقّعت على الورقة اللعينة.

انتزعها سندرسون مني ودسّها في جيب معطفه قائلاً: «شكراً جزيلاً يا مستر بيلين. طاب يومك».

استدار وقرداه ليغادروا.

«هيه مهلاً.. أين العصفور الأحمر؟».

توقف سندرسون واستدار لي: «أوه».

«نعم.. أوه».

«قابِلنا في السوق المركزية الكبرى، غداً، عند الثانية بعد الظهر».

«هذا مكان كبير. أين تحديداً؟».

«ابحث عن محل الجزارة وقف بجوار رؤوس الخنازير. نحن سنجدك».

«رؤوس الخنازير؟».

«بالضبط.. نحن سنجدك».

ثم استداروا وغادروا. جلست أنظر للجدران، ينتابني شعور مبهم بالبلاهة.

٤٨

وهكذا، كانت الساعة الثانية بعد الظهر. كنت في السوق المركزية الكبرى. وجدت محل الجزارة ووقفت بجوار رؤوس الخنازير. رمقتني محاجر العيون في الجماجم. رمقتها وأنا أنفث دخان سيجاري. أشياء كثيرة للغاية تجعل المرء حزيناً. الفقراء يزيدون من سعر تلك الرؤوس لطهي حساء.

تساءلت في نفسي ما إن كنت قد وقعت ضحية احتيال. قد لا يظهر هؤلاء الرجال أبداً.

اقترب مني شخص فقير. ارتدى أسمالاً. خاطبته وهو يقترب مني: «هيه يا رجل أتملك دولاراً لأشرب زجاجة بيرة.. إن لساني يتدلَى خارج فمي من الحر».

إستدار الوغد البائس وسار مبتعداً عني. أحياناً أعطي، وأحياناً لا. الأمر يعتمد على وقع خطواتي على الأرض في الصباح. ربما. من يدري؟ •

حسناً، لم تكن نقودي كافية. لم تكن نقودي كافية على الإطلاق. لم أعرف ماذا أفعل حيال هذا.

ثم رأيتهم. سندوسون وقرديه. اقتربوا مني. ابتسم سندرسون حاملاً في يده شيئاً ما مغطي بقماش. بدا كأنه قفص طيور. أكان قفص طيور؟

وقفوا أمامي. نظر سندرسون إلى رؤوس الخنازير وقال: «بيلين، كن سعيداً فقط لأنك لست رأس خنزير».

«لماذا؟».

«لماذا؟ لأن رأس الخنزير لا ينيك، ولا يأكل حلوى، ولا يشاهد التلفزيون».

«ماذا لديك تحت القماشة سندرسون؟».

«شيء لك يا صغير. سيُعجبك».

قال أحد القردين: «بالطبع».

قال الآخر: «نعم».

«ألم يعارضك الرجلان قط سندرسون؟».

«أه، أه. لكان في ذلك موتهما».

قال أحدهم: «نحن نريد أن نعيش».

قال الآخر: «لعمر طويل مديد».

«كما قلت لك يا سندرسون، ماذا لديك في القفص؟».

«أوه. هذا ليس قفصك. هذا قفص خالٍ».

«هل ستعطيني قفصاً خالياً؟».

«هذا هو الطُعم يا بيلين».

«فيم حاجتك لطُعم؟».

«نحن نحب اللعب. نحن لعوبون».

«عظيم.. الآن.. أين القفص الحقيقي؟».

«في المقعد الأمامي في سيارتك».

«سيارتي؟ كيف..».

«أوه. نحن ماهرون في هذا يا بيلين».

«لكن لماذا قلت إنه سيعجبني؟».

«يعجبك ماذا؟».

«هذا القفص الذي تحمله في يدك. قلت إنه سيعجبني ووافقك على ذلك ممسحتا قدميك».

«نحن نلعب فقط. نحن نحب اللعب. كلام تافه».

«كلام تافه؟ متى ستكف عن اللعب؟ متى سيكون كلاماً فقط؟».

«المقعد الأمامي في سيارتك يا بيلين. انظر هناك. سنذهب الآن. نراك في المدينة. بعد شهر».

ذهبوا وتركوني وحدي مع رؤوس الخنازير.

حسناً سرت مبتعداً من هناك نحو ساحة انتظار السيارات. رأيت وأنا أبتعد مخموراً يستند إلى جدار، محنّي الرأس. كان الذباب يعفّ عليه. توقفت ودسست في يده دولاراً.

وصلت إلى موقف السيارات. توجهت إلى السيارة، ولجتها. كان فيها قفص طيور آخر، مغطى. تأكدت من أن كل نوافذ السيارة مغلقة. ثم أخذت نفساً عميقاً وأزلت القماشة عن القفص. كان في القفص طير. أحمر. نظرت عن كثب. ليس عصفوراً. إنه كناري مصبوغ بالأحمر. أممم. آوو. أوه.

كان بإمكانهم وضع عصفور وصبغه بالأحمر. لا. بل وضعوا كناريّاً لعيناً. ولم أستطع إطلاق سراحه، سيجوع حتى الموت خارج قفصه. عليّ أن أحتفظ به. إنه عالق معي.

وأنا مصدوم.

أدرت محرك السيارة وقدت مبتعداً. أسرعت في قطع الإشارات حتى وصلت أخيراً إلى الطريق السريع. سمعت وأنا أقود صوتاً خافتاً، انفتح باب القفص وخرج منه الطير، راح يطير بعصبية في السيارة. الكناري الأحمر. رجل في مسار الطريق المجاور رأى ما حدث وأخذ يضحك مني. أعطيته الإصبع الوسطى. ارتسمت على وجهه تقطيبة كبيرة قاتمة. رأيته يمد يده ليفتح زجاج نافذته ويسدد نحوي مسدساً، ويطلق النار. كان رامياً خائباً. أخطأني. لكنني شعرت بالرصاصة تمر أمام أنفي. أخذ الطائر يحلّق بضراوة وأسرعت بالسيارة. أحدثت الرصاصة ثقباً في كل من نافذتَيْ السيارة، واحد عند دخولها وآخر في مكان خروجها. لم أنظر خلفي، انطلقت أعبّ الطريق حتى وصلت إلى مخرج، ثم نظرت خلفي. اختفى الرفيق من مرمى البصر. حينها شعرت بالطائر. كان يقف فوق رأسي. شعرت به هناك وهو يطلق لنفسه العنان، وشعرت بخرائه يتساقط عليّ.

لم يكن يوم سعدي.

لم يكن يوم سعدي بحق الجحيم.

٤٩

كنت في المكتب. كان يوم الأربعاء على ما أظن. لا توجد قضايا جديدة. ما زلت أعمل على قضيّة العصفور الأحمر، أقلّبها في ذهني، أدرس تحرّكاتي. التحرك الوحيد الذي أمكنني التفكير فيه هو الخروج من المدينة قبل انقضاء ٢٥ يوماً.

مستحيل، لن يزيحوا مؤخرتي من هوليوود. أنا هوليوود، أو ما تبقى منها.

كان هناك طرق مؤدَّب للغاية على الباب.

«نعم. ادخل».

انفتح الباب، وظهر رجل صغير، يتشح كله بالسواد، حذاء أسود، وبذلة سوداء وقميص أسود، فقط ربطة العنق كانت خضراء. أخضر ليموني. ظهرت من فوقه غوريلّته، على أن للغوريلا عقلاً أكبر من عقله. قال الرجل: «أنا جوني تيمبل وهذا مساعدي لوك».

«لوك ها؟ قل لي ماذا يفعل؟».

«كل ما آمره به».

«ولماذا لا تأمره بأن ينصرف من هنا؟».

«ما الأمر يا بيلين، ألا تحب لوك؟».

«أيجب عليّ أن أحبه؟».

تقدم لوك خطوة للأمام، بدأ وجهه يتلوى، كأنه على وشك الانفجار بالبكاء.

سألني: «ألا تحبني يا بيلين؟».

قال تيمبل: «لا تتدخل في هذا الأمر يا لوك».

قلت للوك: «نعم. لا تتدخل أنت».

سأل لوك: «أتحبني أنت يا جوني؟».

«بالطبع، بالطبع، الآن لوك، اذهب وقف أمام الباب بالخارج ولا تدع أحداً يدخل أو يخرج».

«وأنت أيضاً؟».

«ماذا تعني يا لوك؟».

«أنت أيضاً، لا أدعك تدخل أو تخرج؟».

«لا يا لوك، دعني أدخل وأخرج. لكن لا تدع أحداً غيري يدخل أو يخرج. إلا إذا قلت لك».

«أوكي».

انصرف لوك ووقف أمام الباب.

سحب تيمبل كرسياً وجلس.

«أنا من آسمي أكسكيوشنرز. جئت لأبلغك.. مندوبنا هارولد سندرسون..».

«مندوب؟ أتدعو هذا الرجل مندوباً؟».

«أحد أفضل مندوبينا».

«ظني أنه كذلك فعلاً. انظر إلى هذا!»، وأشرت إلى قفص الطيور المعلّق في ركن الغرفة، بداخله كناري أحمر. «لقد باعني هذا».

«بوسعه أن يبيع جلد جثة».

«أظن أنه فعلها من قبل».

«هذا الكلام لا يُقدم ولا يؤخر. أنا هنا لأبلغك».

«هيا أبلغني ولكن أوجز».

«لست مضحكاً يا بيلين. لقد أقرضناك أربعة آلاف دولار بفائدة شهرية ١٥٪، أي ٦٠٠ دولار. ونريد أن نتأكد أنك تفهم كل شيء قبل أن نبدأ التحصيل».

«لنفرض إن المبلغ ليس معي؟».

«نحن دائماً نقوم بالتحصيل يا مستر بيلين، بطريقة أو بأخرى».

«أتكسرون السيقان يا تيمبل؟».

«لنا طرق متعددة».

«لنفرض أن طرقكم هذه فشلت، أتقتلون رجلاً من أجل أربعة آلاف دولار وفائدة؟».

أخرج تيمبل علبة سجائر، نقرها ليُخرج منها سيجارة، أشعلها بقداحته، سحب نفساً ببطء وأطلقه،

ثم قال: «أنت تُضجرني يا بيلين»... ثم صاح: «لوك».

«نعم يا جوني؟».

«أترى ذاك الطائر الأحمر في القفص؟».

«نعم يا جوني».

«لوك، أريدك أن تذهب إلى القفص وتأخذ الطائر من القفص وتأكله حياً».

«حاضر يا جوني».

سار لوك نحو القفص.

صحت في تيمبل: «**يا يسوع..تيمبل، أوقفه. أوقفه. أوقفه!**».

قال تيمبل: «لوك.. لقد غيّرت رأيي.. لا أريدك أن تأكل الطائر حياً».

«هل أشويه أولاً يا جوني؟».

«لا. لا. دع الطائر في حاله.. عُد وقِف أمام الباب».

«حاضر يا جوني».

نظر تيمبل إليّ وقال: «أترى يا بيلين، نحن دائماً نقوم بالتحصيل بطريقة أو بأخرى. إن لم تفلح طريقة، نجد أخرى. يجب أن نبقي عجلة العمل دائرة. نحن معروفون في البلد كلها. سمعتنا معروفة في كل مكان. ولا نسمح لأي شخص أو شيء بتشويَيهها. أريدك أن تفهم هذا جيداً».

«أعتقد أني فهمت هذا جيداً يا تيمبل».

«جميل. عليك أن تدفع أوّل قسط في غضون خمسة وعشرين يوماً. لقد أبلغتك». قال هذا ثم نهض وابتسم وأضاف: «طاب يومك».

ثم استدار.

«حسناً يا لوك، افتح الباب، سنذهب الآن».

أطاع لوك الأمر. استدار لي تيمبل ورمقني بنظرة أخيرة. لم يكن مبتسماً. ثم انصرفا.

سرت نحو القفص ونظرت إلى طائري. بدأت الصبغة تتساقط عنه ولاح بعض الأصفر الطبيعي. كان طائراً لطيفاً. نظر إليّ ونظرت له. ثم صدر عنه صداح خافت: «صوصوصو!» وبطريقة ما جعلني هذا الصوت أفضل حالاً. أنا من السهل إسعادي. المشكلة في بقية العالم.

٥٠

قررت أن أعود إلى شقتي وأشرب قليلاً. يجب أن أفكر في الأمر كله. وصلت إلى طريق مسدود بخصوص العصفور الأحمر وحياتي. قدت السيارة، ركنتها، ترجلت منها. يجب أن أنتقل من تلك الشقة. بقيت فيها لخمس سنوات. كأنني في عُشّ، بيد أنه لا شيء يفقس. أشخاص كثيرون يعلمون أين أقيم. سرت نحو الباب، فتحت القفل، دفعت الباب، كان شيء ما يعرقله. جسد. كانت حلوة ممددة هناك. لا، اللعنة، كانت إحدى تلك الدمى المجسَّمة، إحدى تلك الدمى المجسَّمة التي يضاجعها الرجال. لست أنا يا رفيق.

كانت الحلوة مجسَّمة تماماً. حملتها ومددتها على الأريكة. ثم لاحظت علامة حول رقبتها: «بيلين، اترك موضوع العصفور الأحمر وإلا ستكون أقل من تلك الجثة المطاطية المغتصَبة».

رسالة لطيفة. كان لديّ زائر إذن. شخص ما لا يريدني في القضية. لكنها أمَدَّتني بالأمل. لا بدّ أن العصفور الأحمر موجود حقاً وإلا لما تصرّف هؤلاء على هذا النحو. ليس عليّ سوى أن أتعقّب هذا الخيط. لا بدّ أن ثمة عصفوراً أحمر. ثمة هَرْشٌ كثير حول الأمر. لا بدّ أني أرقد على شيء ما كبير. قد تكون مسألة دولية. ربما كان شيء ما من عالم آخر؟ العصفور الأحمر. ابن القحبة، الأمر يصير ممتعاً. أعددت لنفسي

شراباً لطيفاً، رشفت جرعة. ثم رن جرس الهاتف. التقطت السماعة:

«نعم؟».

«ماذا تفعل أيها المتغوّط؟».

سَرَت قشعريرة في عمودي الفقري. كانت إحدى زوجاتي السابقات، بيني. آخر ما عرفته عنها، منذ خمس سنوات تقريباً، بعد طلاقنا، أنها اختفت مع شخص ما يعمل على طاولات القمار في فيجاس، اسمه سامي.

«آسف، الرقم خطأ يا مدام».

«أنا أعرف صوتك أيها المتغوّط. كيف حالك؟».

تدعوني باسم الدلع هذا، امرأة سطحية تماماً.

«أتأمل خيبتي».

«أأنت بحاجة إلى صُحبة؟».

«أها».

«أنت لا تعرف أبداً ماذا تحتاج، أيها المتغوّط».

«ربما كنت كذلك، لكنني أعرف جيداً ما الذي لا أحتاجه».

«أنا صاعدة إليك».

«أها».

«أنا في الأسفل. إنني أتصل بك من هاتف الردهة».

«أين سامي؟».

«من؟».

«سامي».

«أوه، ذاك... اسمع.. أنا صاعدة إليك».

أغلقت الخط. انتابني إحساس مريع، كأن أحدهم لطّخني كلي بالخراء. أفرغت كأسي كلها وأعددت أخرى. ثم سمعت الطرق على الباب. فتحته. كانت بيني، أكبر بخمس سنوات وأثقل بـ١٥ كيلوغراماً. ابتسمت ابتسامة بشعة. سألتني: «أأنت سعيد لرؤيتي؟».

«ادخلي».

تبعتني للغرفة الأخرى.

«أعد لي كأساً يا متغوّط!».

«نعم..».

«هيه. ما هذا؟».

«ماذا؟».

«هذا الشيء المطاطي. المرأة المطاطية».

«إنها دمية مجسمة».

«أتستخدمها؟».

«ليس بعد».

«ماذا تفعل هنا؟».

«لا أعرف. هاكِ كأسك».

ألقت بيني بالدمية على الأرض وجلست على الأريكة تحمل كأسها. رشفت جرعة وقالت: «اشتقت إليك يا متغوّط».

«لأي شيء فيّ؟».

«أوه، أشياء صغيرة».

«مثل ماذا؟».

«لا أستطيع تذكّرها الآن».

تجرّعت شرابها، ورفعت نظرها نحوي وابتسمت وقالت: «أنا بحاجة إلى بعض المال يا متغوّط. سامي فرَّ بكل ما أملكه».

«أنا مفلس يا بيني. بعضهم سيمزقني إرباً إن لم أدفع فائدة قرض».

خرجت من الغرفة وصببت كأسين أخريين، وعدت.

«مبلغ صغير فقط يا متغوّط».

«ليس معي، أقسم بالمسيح».

«سأمصّ لك. أتذكر؟ كنت أمصّ لك جيداً».

«انظري، ليس معي سوى عشرين دولاراً. خذي..». أخرجت العشرين دولاراً وناولتها إياها.

«شكراً..». قالت وهي تدسها في حقيبتها. جلسنا صامتين نشرب كأسينا. ثم قالت: «قضينا معاً أوقاتاً سعيدة».

«منذ زمن».

«لا أعرف.. لقد بدأت أكتئب».

«اسمعي، لقد انفصلنا لأننا لم ننجح معاً».

«نعم. أنت لا تضاجع هذا الشيء أليس كذلك؟».

«لا. تركه أحدهم هنا».

«من؟».

«لا أعرف.. أحد ما يلاعبني».

«أتريدني أن أمصّ لك».

«لا».

«أيمكنني أن أبقى هنا وأشرب قليلاً؟».

«إلى متى؟».

«ساعتين مثلاً».

«لا بأس».

«شكراً يا متغوّط».

حين غادرت كانت مخمورة تماماً. أعطيتها عشرين دولاراً أخرى لسيارة الأجرة. قالت إن المسافة ليست بعيدة.

بعد أن غادرتْ جلستُ هناك بلا حراك. ثم حملت الدمية المطاطية وأجلستها على الأريكة بجانبي. كنت أشرب فودكا وتونيك. كانت أمسية هادئة. أمسية هادئة في الجحيم. فيما احترقت الأرض كقطعة خشب متعفنة تعجّ بالنمل الأبيض.

٥١

ليس لديكم فكرة عن السرعة التي تنقضي فيها خمسة وعشرون يوماً حين لا تريدها أن تنقضي.

كنت جالساً في مكتبي حين ركل أحدهم الباب بقدمه وفتحه. كان ذلك جوني تيمبل. يصحبه قردان جديدان. قال: «آسمي أكسيكيوشنرز.. جئنا لتحصيل النقود».

«لا أملك نقوداً يا جوني».

«لا تملك ٦٠٠ دولار؟».

«ولا حتى ٦٠ دولاراً».

تنهّد وقال: «سيكون علينا أن نجعلك عِبرة».

«كيف؟ هل ستضربونني من أجل ٦٠٠ دولار خائبة؟».

«لن نضربك يا بيلين. بل سنمحوك تماماً».

«لا أصدقك».

قال أحد القردان: «لا يهم في شيء ماذا تصدق».

قال الآخر: «نعم. لا يهم في شيء».

«الآن. انتظر دقيقة يا جوني. تقول إنك ستمحونني تماماً من أجل ٦٠٠ دولار فائدة قرض بأربعة آلاف؟ قرض تم ابتزازي لأقترضه من

دون أن أراه حتى. وأنتم لم تسلّموني العصفور الأحمر قطّ. ماذا عن الرجال الذين يدينون لك بمبالغ كبيرة؟ لماذا لا تمحوهم هم؟ لماذا أنا؟».

«حسناً يا بيلين، هكذا هو الأمر. سنمحوك من أجل مبلغ زهيد. لأن هذه الأخبار تنتشر في البلاد، وتخيف من يدينون لنا بمبالغ كبيرة حقاً! لأنهم حين يعلمون إننا فعلنا بك هذا من أجل لا شيء تقريباً، سيدركون أي جحيم سيحل بهم هم. أفهمت؟».

«نعم.. فهمت.. لكننا نتحدث عن حياتي هنا، أتعرف.. وكأنها لا تهم في شيء، أتعرف».

«إنها لا تهم في شيء. نحن ندير بيزنس هنا. البيزنس لا يهتم بأي شيء إلا بالأرباح».

«أنا لا أصدِّق ما يحدث هنا». قلت وأنا أفتح درج المكتب بحرص.

«توقف عندك». قال أحد القردان وهو يتقدم نحوي ويحشر فوهة مسدسه في أذني. «سآخذ هذه القطعة!» واستلَّ مسدسي من الدرج.

قلت له: «أنت تتحرك سريعاً بالنسبة لقرد سمين».

قال مبتسماً: «نعم».

قال جوني تيمبل: «حسناً يا بيلين. سنذهب جميعاً في نزهة صغيرة».

«لكننا في وضح النهار!».

«هذا أفضل دائماً.. هيا انهض!».

نهضت من خلف مكتبي واعتصرني القردان بينهما. سار تيمبل خلفنا. تركنا المكتب وسرنا نحو المصعد. مددت يدي وضغطت على زر استدعائه بنفسي.

قال جوني: «شكراً أيها الأحمق».

وصل المصعد. انفتح بابه. كان خالياً. دفعاني بداخله. نزل بنا. شعور بالفراغ. الطابق الأرضي. الردهة. خرجنا إلى الشارع. كان مزدحماً. الناس في كل مكان. فكرت أن أصرخ: هؤلاء الرجال سيقتلونني! لكنني خفت أن يقتلوني لو صرخت. سرت معهم. كان يوماً جميلاً. ركبنا سيارتهم. طوّقني القردان في المقعد الخلفي. قاد جوني تيمبل. اندمج في حركة المرور.

قلت: «هذا كله حلم سيئ غير معقول».

قال جوني تيمبل: «هذا ليس حلماً يا بيلين».

«إلى أين تأخذونني؟».

«إلى متنزه جريفيث يا بيلين. سنقوم برحلة خلوية صغيرة إلى أحد تلك الممرات المنعزلة، المقطوعة، الخاصة».

«كيف لكم أن تكونوا باردين هكذا؟».

«الأمر سهل»، أجابني جوني تيمبل، «لقد وُلدنا هكذا».

قال أحد القردين ضاحكاً: «نعم».

مضينا وكنت ما زلت لا أصدِّق ما يحدث. ربما لم يكن يحدث. لعلهم سيخبرونني في آخر لحظة أنهم يمزحون، يلقِّونني درساً. شيء ما من هذا القبيل.

ثم وصلنا. ركن جوني السيارة وقال: «حسناً، أخرجوه يا أولاد. سنتمشّى قليلاً».

جذبني أحدهم بعنف يخرجني من السيارة. ثم أمسك كل قرد منهما بأحد ذراعيّ. سار جوني خلفنا. وصلنا إلى أحد الممرات المهجورة

المخصصة لسير عربات الخيل، كان محجوباً عن الشمس بأغصان وفروع الشجر.

قلت: «اسمعوا يا رجال. هذا يكفي. أخبروني أن هذا كله مجرد مزحة وهيا نذهب جميعاً لنشرب كأساً في مكان ما».

قال جوني: «هذه ليست مزحة يا بيلين، سنمحوك تماماً».

«٦٠٠ دولار. أنا لا أصدق. لا يمكنني أن أصدّق أن العالم يسير بهذه الطريقة».

«إنه يسير بهذه الطريقة. لقد قلنا لك منطقنا: سِر».

سرنا. ثم قال جوني: «هذا المكان يبدو جيداً. استدر يا بيلين».

استدرت. رأيت المسدس. أطلق جوني النار. أربع طلقات. في بطني مباشرة. سقطت على وجهي لكنني نجحت في أن أتمدد على ظهري وقلت: «شكراً جزيلاً يا تيمبل».

انصرفوا مبتعدين.

لا أعرف. لا بد أنني فقدت الوعي ثم استعدته. كنت أعرف أنني لم أغب عن الوعي طويلاً. كان دمي يسيل، كثير منه.

ثم بدا أنني أسمع صوت موسيقى. موسيقى لم أسمع مثلها من قبل قط. ثم حدث الأمر. كان شيء ما يتشكل ويتبدّى لي. شيء أحمر، أحمر، وكالموسيقى كان أحمر لم أر مثله من قبل قط. وها هو ذا:

العصفور الأحمر.

عملاق، براق، جميل. ليس في ضخامته شيء، حقيقي للغاية، ليس في روعته شيء.

وقف أمامي. ثم ظهرت السيدة موت تقف بجوار العصفور. لم تبدُ أجمل من هذا قط. قالت: «بيلين، لقد استُدرجت إلى لعبة سيئة حقاً».

«لا أستطيع التحدث كثيراً يا سيدتي.. أخبريني بالأمر كله».

«جون بارتون صديقك رجل له نظرة ثاقبة للغاية. أحسّ أن العصفور الأحمر موجود وحقيقي بطريقة ما وفي مكان ما. وأنك ستعثر عليه. الآن قد عثرت عليه. لم يكن معظم الآخرين؛ ديجا فاونتن، وسندرسون، وجوني تيمبل، سوى فنّانين محتالين، حاولوا خداعك وابتزازك. ظناً منهم أنك ثري، لأنك أنت وحانة موسو كل ما تبقى من هوليوود القديمة، هوليوود الحقيقية».

ابتسمت.

«وماذا عن الدمية المجسّمة التي في غرفتي يا سيدتي؟».

«تلك؟ كانت من ساعي البريد، لقد سمع أنك تعمل على مسألة العصفور الأحمر وأراد أن ينتقم منك مرة أخرى لضربك إياه. فتح باب شقتك خلسة وتركها هناك».

«وماذا الآن سيدتي؟».

«سأدعك مع العصفور الأحمر. سيعتني بك جيداً. وداعاً يا بيلين، كان الأمر ممتعاً».

«نعم..».

ثم صرت مع ذاك العصفور العملاق البراق. وقف هناك.

فكرت بيني وبين نفسي أن هذا لا يمكن أن يكون حقيقياً. لا يحدث الأمر هكذا.

وفيما كنت أراقبه، فتح العصفور منقاره العملاق ببطء، فبدت

بداخله فجوة هائلة ودوامة صفراء شاسعة، أكثر وهجاً من الشمس، شيء لا يصدِّقه عقل.

لا يحدث الأمر هكذا. فكّرت مجدداً.

انفتح المنقار على وسعه، اقترب رأس العصفور، وابتلعني بريق ووهج أصفر وغلّفني.

هذا الكتاب

تَرثُ هذه الرواية الجينات الأدبيّة البوكوفسكيّة مستعيرةً شكلاً جديداً في الكتابة هدفه كَسر نوعيّة الجنس الروائيّ النموذجيّ من خلال المحاكاة السّاخرة، وبناء نصّ مفتوح بنكهة جديدة ينزاحُ عن الكتابة المشروطة لأدب التحرّي. في هذا المَزج، أو التّشويش أو الازدواج المتعمّد الذي يُحدثُه بوكوفسكي في آخر أعماله، يهجّر النصّ عن نموذجه التقليديّ ويعيدُ صياغته وفق أصول مطبخه الأدبيّ ليبني لنا خيالاً يشدّ، عبر الباروديا، بنية العمل الأدبيّ ويخلق له لغتين وأسلوبين ووجهتي نظر تضعنا أمام سؤال الكتابة وأشكال تلقّيه.


ISBN 978-9933351557

